جان بول سارتر

الأيدي القذرة

مسرحية في سبعة فصول

نقلها عن الفرنسية

سهيل ادريس — اميل شويري

مكتبة
Telegram Network

دار العلم للملايين

جَانْ بُول سَارتر

الأيْدِيْ القَـــــــذِرَة

نقلهَا عَنِ الفرنسية

سُهيل ادريسْ اميْل شويْري

«مكتبة ♔ النخبة»

بَيروت

أشخاص المسرحية

هودرر

هوغو

اولغا

جسِّيكا

لويس

الامير

سليك

جورج

كارسكي

فرانز

شارل

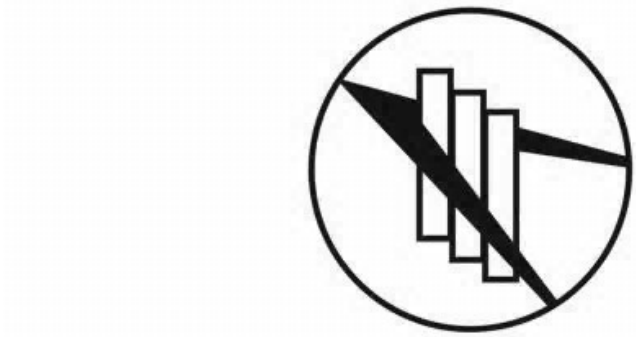

دار العلم للملايين

شارع مار الياس ـ بناية متكو ـ الطابق الثاني
هاتف : (961) 1 306666 + - فاكس: + (961) 1 701657
ص.ب. : 1085 ـ 11 بيروت 8402 2045 ـ لبنان
internet site: www.malayin.com e-mail: info@malayin.com طبعة الكترونية 2020

جَميعُ الحُقـوقِ مَحفوظة
لا يَجـوزُ نَسْخُ أَوْ اِستِعمالُ أَيِّ جُزْءٍ مِنْ هٰذا الكِتابِ بِأَيِّ شَكْلٍ مِنَ الأَشْكَالِ، أَوْ بِأَيَّةِ وَسيلَةٍ مِنَ الوَسائلِ - سَواءٌ مِنْها التَّصْويرِيَّـةُ أَوِ الإِلِكْتْرونِيَّـةُ أَوِ المِيكانيكِيّةُ، بِما في ذٰلكَ النَّسْخُ الفوتوغْرافيُّ، والتَّسْجيلُ عَلى أَشْرِطَـةٍ، أَوْ سِواها، وحِفْظُ المَعْلوماتِ واسْتِرْجاعُها مِنْ دونِ إِذْنٍ خَطِّيٍّ مِنَ النّاشِر.

,Electronic Copyright 2019 © by Dar El Ilm Lilmalayin
Mar Elias street, Mazraa P.O.BOX: 11 - 1085
Beirut 2045 8402 LEBANON

طبع في لبنان
أول طبعة ورقية 1954

الفصل الأول

في بيت أولغا

(الدور الأرضي من بيت صغير، على حافة الشارع الكبير. إلى اليمين، يقوم المدخل ونافذة مغلقة المصراعين. وفي الداخل، آلة التلفون على خزانة صغيرة ذات أدراج. إلى اليسار، باب في اتجاه الداخل. طاولة وكراسي. أثاث غريب ورخيص. يشعر المشاهد أن الشخص الذي يعيش في هذه القاعة لا يحفل مطلقًا بالأثاث. موقد إلى الشمال، بالقرب من الباب، وفوقه مرآة. سيارات تمر في الطريق بين حين وآخر. أصوات أبواق وزمامير).

المشهد الأول

أولغا، ثم هوغو

(أولغا وحدها جالسة بالقرب من جهاز راديو تحرك مفاتيحه. تشويش ثم صوت واضح وضوحًا كافيًا).

المذيع: تتراجع الجيوش الألمانية بانتظام على عرض الجبهة. وقد استولت الجيوش السوفياتية على >> كيسكنار << على بعد أربعين كيلومترًا من الجبهة الايليرية. وترفض الفرق الايليرية القتال حيثما تستطيع. جنودٌ عديدون تركوا صفوفهم لينضمّوا إلى الحلفاء. أيها الايليريون: نحن نعلم أنكم قد أُجبرتم على حمل السلاح ضد الاتحاد السوفياتي، ونحن نعرف في الشعب الايليري عواطفه الديموقرطية العميقة ونحن...

(تفتل أولغا المفتاح، فينقطع الصوت. تظل أولغا جامدة، محددة العينين. تمر هنيهة. يدق الباب. تقفز منتفضة. يدق الباب مرة أخرى، فتتجه إليه ببطء. يدق الباب مجددًا).

أولغا: مَنْ هناك؟

صوت هوغو: هوغو.

أولغا: مَنْ؟

صوت هوغو: هوغو بارين. (تنتفض أولغا انتفاضة يسيرة، ثم تظل جامدة أمام الباب). ألا تعرفين بعدُ صوتي؟ افتحي، افتحي لي.

(تتجه أولغا بسرعة نحو الخزانة ذات الأدراج. فتتناول شيئًا بيدها اليسرى من الدرج، وتحيط يدها اليسرى بمنشفة، وتذهب لتفتح الباب، وهي ترتد بقوة إلى الوراء لتتفادى من المفاجآت. شاب في الثالثة والعشرين منتصب عند العتبة).

هوغو: هذا أنا. (يتبادلان النظرات وهما صامتان). أيدهشك ذلك؟

أولغا: انها هيئتك التي تدهشني.

هوغو: نعم. لقد تغيّرت (هنيهة) هل رأيتني جيّدًا؟ وهل عرفتني جيّدًا؟ أليس هناك من خطأ ممكن؟ (مشيرًا إلى المسدس الذي تخفيه المنشفة) وإذن فان بوسعك أن تضعي هذا.

أولغا (من غير أن تضع المسدس): كنتُ أحسب أنك ستسجن خمسة أعوام.

أولغا: ادخل وأغلق الباب. (تتراجع خطوة. ليس المسدس مصوبًا إلى هوغو، ولكنه يوشك أن يكون كذلك. يلقي هوغو نظرة عابثة على المسدس، ويدير ظهره إلى أولغا على مهل، ثم يغلق الباب) هل أنت هارب؟

هوغو: هارب؟ أنا لست مجنونًا. كان لا بدّ لهم من أن يدفعوني من كتفيّ إلى الخارج (هنيهة) لقد اطلقوا سراحي بسبب مسلكي الحسن.

أولغا: هل أنت جائع؟

هوغو: إن بودّك أن أكون جائعًا، أليس كذلك؟

أولغا: لماذا؟

هوغو: إن المرء يؤثر أن يُعطي: فذلك يضمن له أن يُبقي الناس بعيدين عنه. ثم إن الإنسان حين يأكل، يلوح انه غير مؤذٍ. (هنيهة) اعذريني: ليس بي

جوعٌ ولا عطش.

أولغا: كان يكفي أن تقول لا.

هوغو. أراك لا تتذكرين: لقد كنت مسرفًا في الكلام.

أولغا: بل أذكر ذلك.

هوغو (ينظر حوله) أي قفر: ومع ذلك، فان كل شيء هناك. أين آلتي الكاتبة؟

أولغا: لقد بيعت.

هوغو: آه؟ (هنيهة. ينظر إلى القاعة) خلاء.

أولغا: أين هو الخلاء؟

هوغو (بحركة دائرية) هذا! لكأن هذا الأثاث موضوعٌ في صحراء. حين كنت أمدّ ذراعيّ هناك، كان بوسعي أن أمسّ الجدارين المتقابلين في وقت واحد. اقتربي (لا تقترب) هذا صحيح؛ إن الناس خارج السجن يعيشون فيما بينهم على بُعدٍ يفرض الاحترام. كم من مسافة تضيع! غريبٌ أن يكون الإنسان حرًّا! إنه ليصاب من ذلك بالدوار. ينبغي لي أن استردّ العادة في التحدث إلى الناس من غير أن أمسَّهم.

أولغا: متى اخلوا سبيلك؟

هوغو: هذه الساعة.

أولغا: وهل أتيت إلى هنا على التوّ؟

هوغو: وأين تريدين أن أذهب؟

أولغا: أو لم تتحدث إلى أحد؟

(ينظر إليها هوغو. ثم يأخذ في الضحك)

هوغو: لا، يا أولغا، لا. ليطمئن بالك. لم أتحدث إلى أحد.

(تسترخي أولغا قليلًا وتنظر إليه)

أولغا: انهم لم يحلقوا رأسك.

هوغو: لا.

أولغا: ولكنهم قصّوا خُصلتك. (هنيهة)

هوغو: هل يسرّكِ أن تريني ثانية؟

أولغا: لا أدري. (صوت سيارة في الشارع. تزمير. ضجيج محركات. هوغو يرتجف. السيارة تبتعد. أولغا تراقبه ببرودة) ان كان صحيحًا انهم اطلقوا سراحك، فلا حاجة بك إلى الخوف!

هوغو: (باستهزاء) أتظنين ذلك؟ (يهز كتفيه هنيهة) كيف حال لويس؟

أولغا: لا بأس.

هوغو: ولوران؟

أولغا: لم... لم يواته الحظ.

هوغو: كنت أقدّر ذلك. لا أدري لماذا، فقد اعتدت على أن أفكر به كما أفكر بميت. لا بدّ أن هناك تغييرًا.

أولغا: لقد غدا الأمر أصعب كثيرًا منذ دخول الألمان.

هوغو (بلا مبالاة): حقًا. انهم هنا.

أولغا: منذ ثلاثة أشهر. خمس فرق. كان المفهوم مبدئيًا انهم يعبرون هذه الأراضي ليذهبوا إلى هنغاريا. ولكنهم أقاموا هنا.

هوغو: آه! آه! (باهتمام) وهل عندكم جُدُد؟

أولغا: كثيرون.

هوغو: شبان؟

أولغا: عددٌ غير قليل من الشبان. ان اختيار الأعضاء لا يجري بعدُ على الطريقة الماضية تمامًا. هناك فجوات ينبغي أن تُملأ. اننا الآن أقلّ تدقيقًا.

هوغو: نعم، بكل تأكيد: أن الانسجام مع الوضع ضروري. (بقلق خفيف) ولكنها الخطّة نفسها، في الأمور الجوهرية؟

أولغا (مرتبكة): بالإجمال... طبعًا.

هوغو: ها أنتم أولاء اذن: لقد عشتم. إن من هم في السجن لا يُحسنون أن يتصوروا كيف يستمر الآخرون في العيش. أهناك أحدٌ في حياتك؟

أولغا: من وقت إلى آخر. (بعد حركة من هوغو) ليس الآن.

هوغو: هل... كنتم تتحدثون عني أحيانًا؟

أولغا (غير محسنة الكذب): أحيانًا.

هوغو: كانوا يَصِلون ليلًا على دراجاتهم، كما كان يحدث في عهدي، فيجلسون حول الطاولة، ويحشو لويس غليونه، ويقول أحدهم: في مثل هذه الليلة تطوَّع الصغير لمهمة سرية.

أولغا: هذا أو شيء آخر.

هوغو: وكنتم تقولون: << ولقد وفّق إلى مهمته، كما ينبغي، ومن غير أن يعرّض أحدًا للخطر>> **أولغا**: نعم. نعم. نعم.

هوغو: كان المطر يوقظني أحيانًا، فكنت أقول: << ستمطر السماء عندهم >> ثم أضيف، قبل أن أعود إلى النوم: << في هذه الليلة بالذات، قد يتحدثون عني >> ذلك كان تفوقي الرئيسي على الموتى؟ كان باستطاعتي بعدُ أن أفكر بأنكم كنتم تفكرون بي. (تتناول أولغا ذراعه بحركة خرقاء غير ارادية. يتبادلان النظر. أولغا تترك ذراع هوغو. يتصلب هوغو قليلًا) ثم اتى يومٌ قلتم فيه لأنفسكم: << ما زالت أمامه ثلاثة أعوام، وحين يخرج (مغيرًا نبرته من غير أن يغادر نظره أولغا)... يخرج، فسنقتله كالكلب، مكافأةً له.

أولغا (متراجعة فجأة): هل أنت مجنون؟

هوغو: حسبك يا أولغا، حسبُك. (هنيهة) هل أنت التي عُهدَ إليها في أن ترسل لي >>الشوكولا >>؟

أولغا: أي شوكولا؟

هوغو: حسبُـك، حسبُـك!

أولغا (بتصلف): أي شوكولا؟

هوغو: شوكولا ممزوجة بالكحول، في علبة وردية. لقد ظلّ شخص باسم << درش >> طوال ستة أشهر يُرسل لي طرودًا. ولما لم أكن أعرف

شخصًا بهذا الاسم، فقد ادركت أن الطرود كانت تأتي منك، وهذا ما سرّني. ثم انقطع الارسال، فقلت في نفسي: << لقد بدأوا ينسونني >>. وبعد ذلك، وصلت منذ ثلاثة أشهر علبةٌ من المُرسل نفسه تحتوي شوكولا وسكاير. فدخنت السكاير واكل الشوكولا جاري في الزنزانة. ولكن المسكين أصيب منها بسوء، سوء كبير. وإذ ذاك فكرت: << انهم لا ينسونني. >> **أولغا**: وبعد ذلك؟

هوغو: هذا كل شيء.

أولغا: كان لها لهودرر أصدقاء لم يكونوا يحبّونك.

هوغو: لو كان الأمر كذلك، ما كانوا بحاجة إلى أن ينتظروا عامين ليطلعوني على عاطفتهم. لا، يا أولغا، كان أمامي الوقت كله للتفكير بهذه القصة، ولم أجد إلا تعليلًا واحدًا: لقد كان الحزب يعتقد أول الأمر انني ما زلت صالحًا للعمل، ثم بدّل في ذلك رأيه.

أولغا (من غيره قسوة): انك تُسرف في الكلام يا هوغو. انك ابدًا تسرف فيه. انت بحاجة إلى الكلام لتشعر بأنك تعيش.

هوغو: لست أنت التي تقولين ذلك: انني أسرف حقًا في الكلام، وأنا أدرك هذا تمامًا، وأنتم لم تثقوا يومًا بي. ليس ثمة حاجة للمضيّ إلى أبعد من ذلك. (هنيهة) على أني لست عاتبًا عليكم، ان هذه القصة كلها قد بدأت سيئة.

أولغا: هوغو، انظر إليّ. هل أنت تعني ما تقول؟ (تنظر إليه) إنك تعنيه. (بعنف) وإذن، فلمَ تُراك أتيت إليّ؟ لماذا؟ لماذا؟

هوغو: لأنك << أنتِ >> لن تستطيعي أن تطلقي عليّ الرصاص (ينظر إلى المسدس الذي كانت لا تزال تحمله ويبتسم) أو هكذا افترض على الأقل. (ترمي أولغا بانقباض المسدس المحاط بالمنشفة على الطاولة) أترين؟

أولغا: اسمع يا هوغو: انني لا اصدق كلمة مما رويت لي، ولم اتلقّ أي أمرٍ في شأنك. ولكن إذا تلقيت يومًا ما أي أمر، فينبغي أن تعلم اني سأنفذ ما يأمرونني به. ولئن سألني أحدٌ من الحزب، فسأقول لهم انك هنا، حتى ولو كان في النية أن يقتلوك تحت ناظري.. هل معك مال؟

هوغو: لا

أولغا: سأعطيك مبلغًا، ثم تمضي.

هوغو: إلى أين؟ هل أجرجر أقدامي في أزقة المرفأ أو فوق الأحواض؟ إن الماء باردٌ يا أولغا. أما هنا، فمهما حدث، يظل الضوء والدفء. وستكون نهايةً أوفر راحة.

أولغا: سأفعل يا هوغو ما يأمرني به الحزب. اقسم لك انني سأفعل ما يأمرني به.

هوغو: ترين جيدًا انّ هذا صحيح.

أولغا: اذهب.

هوغو: لا (مقلدًا أولغا)، سأفعل ما يأمرني به الحزب، لا بدّ ان تَطْلُع عليك مفاجآت. إن المرء مهما كانت ارادته قوية في ان ينفذ ما يأمره به الحزب، فإن ما يفعله ليس هو مطلقًا ما يأمره به الحزب. >> ستذهب لمقابلة هودرر وستقذف بطنه بثلاث رصاصات، هو ذا أمرٌ بسيط، أليس كذلك؟ لقد ذهبت لمقابلة هودرر وقذفت بطنه بثلاث رصاصات. ولكن ذلك كان شيئًا آخر. الأمر؟ لم يكن هناك بعدُ من أمر. إن الاوامر نتركك وحيدًا، في لحظة من اللحظات. لقد تخلّف الامر، وتقدّمت وحدي، وقتلت و... لماذا؟ حتى هذا بتُّ لا أدريه. بودّي لو يأمرك الحزب بأن تطلقي عليّ. لنرى. لا لشيء إلّا لنرى.

أولغا: سترى (هنيهة) ما الذي ستفعله الآن؟

هوغو: لا أدري؟ لم أفكر بذلك. حين فتحوا باب السجن فكرت في اني سآتي إلى هنا، وقد أتيت.

أولغا: أين هي جسّيكا؟

هوغو: في منزل أبيها. لقد كتبت لي بضع مرات في أول الامر. أظنّ انها لا تحمل اسمي بعدُ.

أولغا: أين تريدني أن أسكِنك؟ كل يوم، يأتي إلى هنا رفاق، ويدخلون كما يشاءون.

هوغو: إلى غرفتك أيضًا؟

أولغا: لا.

هوغو: أما أنا، فكنت أدخلها. كان على الديوان غطاء أحمر، وعلى الجدران ورقة ذات معيّنات صفراء وخضراء، وصورتان احداهما تمثلني.

أولغا: أتقوم الآن >> بجردة << ؟

هوغو: لا، ولكني أتذكّر. كنت أفكر بذلك غالبًا. ولقد أوقعتني الصورة الثانية في ارتباك عظيم: بتُّ لا أدري من الذي تمثّله.

(سيارة تمر في الشارع، فيقفز منتفضًا. يصمتان كلاهما. السيارة تقف. اصطفاق بوابة. طرق على الباب).

أولغا: مَنْ هناك؟

صوت شارل: شارل

هوغو (بصوت منخفض): من هو شارل؟

أولغا (بالصوت نفسه): أحد الرفاق.

هوغو (ناظرًا إليها) وما العمل؟

(هنيهة قصيرة جدًا. شارل يدق الباب مجددًا).

أولغا: ولكن ماذا تنتظر؟ اذهب إلى غرفتي: فباستطاعتك أن تتمّ ذكرياتك.

(يخرج هوغو. تتجه أولغا إلى الباب لتفتحه)

المشهد الثاني

أولغا، شارل، فرانز

شارل: أين هو؟

أولغا: مَنْ؟

شارل: ذلك الشخص. اننا نتبعه منذ خروجه من السجن (صمت قصير) أليس هو هنا؟

أولغا: بلى. إنه هنا.

شارل: أين؟

أولغا: هناك (تشير إلى غرفتها)

شارل: حسنًا. (يومئ إلى فرانز ان يتبعه، ويضع يده في جيب سترته ويتقدم خطوة الامام. تعترض أولغا طريقه) **أولغا**: لا.

شارل: لن يطول الأمر يا أولغا. اذهبي فقومي بدورة في الشارع، ان شئت. وحين تعودين، لن تجدي أحدًا، ولن تجدي أيّ أثر. (مشيرة إلى فرانز) ان الصغير هنا لازالة الآثار.

أولغا: كل.

شارل: دعيني أقوم بعملي يا أولغا.

أولغا: أيكون لويس هو الذي أرسلك؟

شارل: نعم.

أولغا: وأين هو؟

شارل: في السيارة.

أولغا: إذهب فاصحبه. (يتردد شارل) هيّا! أقول لك ان اذهب فأتِ به.

(يقول شارل باشارة. يظل أولغا وشارل وجهًا لوجه صامتين. تتناول أولغا من على الطاولة، من غير أن يغادر منظرها فرانز، المنشفة التي تحتوي المسدس) المشهد الثالث

أولغا، شارل، فرانز، لويس

لويس: ماذا دهاكِ؟ لماذا تحولين بينهم وبين أن يؤدوا عملهم؟

أولغا: انكم تسرفون في العجلة.

لويس: نسرف في العجلة؟

أولغا: إصرفهما.

لويس: انتظراني خارجًا. فان ناديتكما أتيتما. (يخرجان) والآن، ما تريدين أن تقولي لي؟ (هنيهة) **أولغا** (بهدوء): اسمع يا لويس. لقد عمل من أجلنا.

لويس: لا تكوني طفلة يا أولغا. إن هذا الشخص خَطِر. ويجب الّا يتكلم.

أولغا: إنه لن يتكلم.

لويس: هو؟ إنه أكبر ثرثار...

أولغا: لن يتكلم.

لويس: اني لأتساءل عما إذا كنتِ ترينه على حقيقته. لقد كنت تشعرين دائمًا بميل إليه.

أولغا: وانت بميلٍ ضده (هنيهة) إنني يا لويس لم أدْعُك لنتحدث عن نواحي ضعفنا؛ انني أكلمك في صالح الحزب. لقد خسرنا كثيرًا من الناس منذ أقام الألمان هنا. وليس بوسعنا ان نسمح لأنفسنا بأن نصفّي هذا الفتى من غير أن نتحقق مما إذا كان على الأقل قابلًا للاسترداد وصالحًا للعمل.

لويس: صالح للعمل؟ لقد كان فوضويًا صغيرًا غير منظّم، مثقّفًا لا يفكر الّا في اتخاذ مسالك وأوضاع، بورجوازيًا يعمل متى كان ذلك يروق له وينصرف عن العمل من أجل نعم أو لا.

أولغا: إنه أيضًا الشخص الذي قتل، وهو في العشرين من عمره، هودرر وسط حراسه، وتدبر أمره ليقنّع اغتيالًا سياسيًا بقناع جريمة عاطفية.

لويس: اكان اغتيالًا سياسيًا؟ تلك قصة لم تنجلِ أبدًا.

أولغا: ان هذا حق: انها قصة ينبغي أن تنجلي الآن.

لويس: انها قصة نتنة، ولا أودّ أن أمسها. ثم انني، أيًا ما كان، لا أملك الوقت لاجري له امتحانًا.

أولغا: أنا أملك (حركة من لويس) انني أخشى يا لويس أن تُدخل في هذه القصة قدرًا من العاطفة يتجاوز حده.

لويس: وأنا أخشى يا أولغا أن تدخلي فيها، أنت أيضًا، قدرًا أوفر.

أولغا: هل رأيتني يومًا ما انقاد للعواطف؟ انني لا أسالك أن تدع له أن يحيا من غير شروط. انني أهزأ بحياته. وانما اقول فحسب ان من الواجب ان

يدرس الحزب، قبل أن يحذفه من الوجود، ان كان بامكانه أن يسترده.

لويس: ليس باستطاعة الحزب بعد أن يسترده: لقد فات الأوان. وأنت تعرفين ذلك تمامًا.

أولغا: لقد كان يعمل باسم مستعار، ولم يكن أحد يعرفه إلا لوران الذي مات، ودرسدن الذي هو بالجبهة. أتخشى أن يتكلم؟ انه لن يتكلم إذا أحسنا احاطته. انه مثقف وفوضوي؟ فليكن. ولكنه كذلك شاب يائس. فإذا أحسن توجيهه كان خير من يؤدي المهام على اختلافها. ولقد اقام على ذلك البرهان.

لويس: ما الذي تقترحينه إذًا؟

أولغا: كم هي الساعة الآن؟

لويس: التاسعة.

أولغا: عودوا عند منتصف الليل. سأعرف لماذا اطلق النار هودرر، وما هو شأنه اليوم. فإذا رأيت في الحقيقة ان من الممكن أن يعمل معنا، اخبرتكم بهذا عبر الباب، وحينذاك تدعونه ينام مطمئنًا على أن تنفذوا إليه أوامركم صباح الغد.

لويس: وإن لم يكن قابلًا للاسترداد ولا صالحًا للعمل؟

أولغا: سأفتح لكم الباب.

لويس: مخاطرة عظيمة من أجل شيء قليل.

أولغا: أية مخاطرة هي؟ هل هنالك رجال حول البيت؟

لويس: أربعة.

أولغا: ليظلوا في ترقبهم حتى منتصف الليل (لويس لا يريم). لقد عمل من أجلنا يا لويس. وينبغي أن يُترك له حظّه.

لويس: حسنًا. موعدنا منتصف الليل. (يخرج)

المشهد الرابع

أولغا ثم هوغو

(أولغا تتجه نحو الباب وتفتحه. يخرج هوغو)

هوغو: انها أختك.

أولغا: ماذا؟

هوغو: الصورة التي على الجدار انها صورة أختك. (هنيهة). أما صورتي أنا، فلقد نزعْتِها. (أولغا لا تحير جوابًا. ينظر إليها). أية هيأة غريبة هي هيأتك! ما الذي كانوا يريدونه؟

أولغا: انهم يبحثون عنك.

هوغو: آه! وهل قلت لهم انني كنت هنا؟

أولغا: نعم.

هوغو: حسنًا. (يهم بالخروج) **أولغا**: إن الليل مجلو، وإن حول البيت رفاقًا.

هوغو: آه؟ (يجلس إلى الطاولة) اعطني ما آكله.

(تذهب أولغا لتأتي بصحن وخبز ولحم خنزير. فيأخذ في الكلام بينا ترتب الصحن والطعام على الطاولة أمامه) **هوغو**: لم يتغيّر عليّ شيء في غرفتك. كل شيء فيها كما هو في ذاكرتي (هنيهة). غير انني كنت أقول لنفسي وأنا في السجن: انها ذكرى. وإن الغرفة الحقيقية هي هناك، في الجانب الآخر من الجدار. ولقد دخلت، ونظرت إلى غرفتك فإذا هي ليست أوفر حقيقةً من ذكراي. والزنزانة، هي أيضًا كانت ذكرى. ومثلها عينا هودرر، يوم اطلقت عليه مسدسي. أتحسبين انّ لي حظًا بان استيقظ؟ ربما يحدث ذلك حين يأتي رفاقك ومسدساتهم مصوبة نحوي...

أولغا: إنهم لن يمسّوك بسوء ما دمت هنا.

هوغو: هل تعهّدوا لك بذلك؟ (يصب لنفسه قدحًا من الخمر) ينبغي لي أن أخرج آخر الأمر.

أولغا: انتظر. إنّ لك ليلة. وكثيرُ من الأشياء قد تحدث في ليلة.

هوغو: ماذا تريدين أن يحدث؟

أولغا: أشياء قد تتغير.

هوغو: مثلًا؟

أولغا: أنت. أنا.

هوغو: أنتِ؟

أولغا: إن هذا يتوقف عليك.

هوغو: هل المفروض فيّ ان أغيّركِ؟

(يضحك، وينظر إليها، ثم ينهض فيتجه نحوها. تبتعد عنه بحركة سريعة) **أولغا**: ليس كذلك. لن يغيِّرني أحدٌ على هذا الشكل إلا متى أردت...

(هنيهة. هوغو يهز كتفيه ثم يعود إلى الجلوس. يبدأ طعامه) **هوغو**: ماذا إذن؟

أولغا: لماذا لا تعود فتنضم إلينا؟

هوغو: (آخذًا في الضحك) انك تحسنين اختيار اللحظة التي تسألينني فيها ذلك.

أولغا: ولكن ربما كان الأمر ممكنًا؟ ربما كانت هذه القصة كلها قائمة على سوء تفاهم؟ ألم تسأل نفسك مرةً عما ستفعله، إذ تخرج من السجن؟

هوغو: لم أكن أفكر في ذلك.

أولغا: وبم كنت تفكر؟

هوغو: بما فعلته. كنت أحاول أن أفهم لماذا فعلته.

أولغا: وهل انتهى بك الأمر إلى الفهم؟ (هوغو يرفع كتفيه) كيف حدث ذلك مع هودرر؟ أصحيح انه كان يحوم حول جسّيكا؟

هوغو: نعم.

أولغا: أبدافع من الغيرة...

هوغو: لا أدري. لست... اعتقد ذلك.

أولغا: إحكِ لي.

هوغو: ماذا؟

أولغا: كل شيء. منذ البدء.

هوغو: لن يكون من الصعب أن أروِي: فهذه حكاية أعرفها عن ظهر قلب؛ وقد كنت أرددها لنفسي كل يوم في السجن: أما الحديث عما تعنيه، فتلك قضية أخرى. إنها حكاية سخيفة كسائر الحكايات. إذا أنت نظرت إليها من بعيد، فإنها تكاد تكون متماسكة؛ أما إذا اقتربت منها، فإنها تتداعى كليًّا. إن الفعل يصدر عن المرء بسرعة بالغة؛ انه يخرج منك فجأة، وانت لا تدرين ان كان ذلك بسبب انك اردتِه، أم بسبب انك لم تستطيعي ان تمسكيه. الذي حدث هو اني أطلقت مسدسي...

أولغا: ابدأ بالبداءة.

هوغو: إنك تعرفين البداءة معرفتي إياها. ولكن هل هنالك بداءة حقًا؟ إن بالإمكان بدء القصة في آذار 43 حين استدعاني لويس، أو لعلّها بدأت قبل مرور سنة من ذلك، حين دخلت الحزب، أو لعلها بدأت قبل ذلك أيضًا، عند ولادتي. ولكن لنفرض ان كل شيء قد بدأ في آذار عام 1943.

(تهبط الظلمة شيئًا فشيئًا على المسرح فيما هو يمضي في الحديث)

الفصل الثاني

(الديكور نفسه، عامان قبل ذلك، في بيت أولغا. الزمن ليل. يسمع عبر الباب الداخلي، من جهة الباحة، ضجة أصوات. ضوضاء ترتفع تارة وتارة تنخفض، كما لو ان بضعة أشخاص يتحدثون بحماسة) المشهد الأول

هوغو، إيفان، ثم لويس

(هوغو يضرب على الآلة الكاتبة، ويبدو أوفر شبابًا وفتوة من المشهد السابق. إيفان يذرع القاعة جيئة وذهابًا) **ايفان**: قلْ لي.

هوغو: ماذا؟

ايفان: ألا تستطيع أن تكفّ عن الضرب؟

هوغو: ولماذا؟

ايفان: ان هذا يثير أعصابي.

هوغو: ولكن لا يبدو عليك مع ذلك انك رجل عصبيّ المزاج.

ايفان: هذا صحيح. ولكن ذلك يثير أعصابي الآن. ألا تستطيع أن تحدثني؟

هوغو (بعجلة): أنا؟ انني لا أطلب خيرًا من ذلك. ما اسمك؟

ايفان: في السرّ ادعى ايفان. وأنت؟

هوغو: راسكولنيكوف.

ايفان (ضاحكًا) أي اسم هذا!

هوغو: انه اسمي في الحزب.

ايفان: وأين تُراك حصلت عليه؟

هوغو: انه اسم بطل في رواية.

ايفان: وما كان دوره؟

هوغو: كان يقتل.

ايفان: آه، وأنت، هل قتلت؟

هوغو: لا (هنيهة) من الذي أرسلك إلى هنا؟

ايفان: لويس.

هوغو: وما الذي ينبغي أن تعمله؟

ايفان: الانتظار حتى الساعة العاشرة.

هوغو: وبعد ذلك؟

(حركة من ايفان تنم عن أن هوغو ينبغي له الا يسأله. ضوضاء تصدر عن الغرفة المجاورة. لكأن هناك اختصامًا) **ايفان**: ماذا يفعلون هناك، في الداخل؟

(حركة من هوغو، يقلد بها حركة ايفان، تنم عن انه لا ينبغي لأحد أن يسأله) **هوغو**: أنت ترى: إن ما يُزعج حقًا ان هذه المحادثة لا يمكن أن تذهب بعيدًا (هنيهة).

ايفان: هل مضى على انخراطك في الحزب وقت طويل؟

هوغو: منذ 42. أي منذ عام. دخلته حين أعلن الوصيّ الحرب على الاتحاد السوفياتي. وأنت؟

ايفان: بتّ لا أذكر حتى هذا. احسب انني كنت أبدًا عضوًا في الحزب. (هنيهة) أأنت الذي تحرّر الجريدة؟

هوغو: أنا وآخرون.

ايفان: انها غالبًا ما تمرّ بين يدي، ولكني لا اقرأها. ليس هو خطأك، ولكن اخباركم متأخرة ثمانية أيام عن اخبار الاذاعة البريطانية أو الاذاعة السوفياتية.

هوغو: ومن أين تريدنا أن نستقي الأنباء؟ اننا نسمعها مثلكم من الاذاعة.

ايفان: هذا صحيح. انك تقوم بعملك، وليس هناك ما تؤاخذ عليه. (هنيهة) كم هي الساعة؟

هوغو: العاشرة الا خمس دقائـق.

ايفان: أف. (يتثاءب)

هوغو: ما بك؟

ايفان: لا شيء.

هوغو: اراك تشكو شيئًا؟

ايفان: لا. لا بأس عليّ.

هوغو: لا يبدو انك مرتاح.

ايفان: لا بأس عليّ، قلت لك. انني هكذا دائمًا قبل.

هوغو: قَبْل ماذا؟

ايفان: قبل لا شيء. (هنيهة) حين أستقل دراجتي سأكون في وضع أحسن. (هنيهة) اشعر بأني على غاية الرقة، حتى اني لن أؤذي ذبابة.

(يتثاءب. تدخل أولغا من باب الدخول)

المشهد الثاني

الأشخاص أنفسهم وأولغا

(تضع محفظة بالقرب من الباب)

أولغا (لايفان) هيّا. أتستطيع أن تُثبتها على حاملة أمتعتك؟

ايفان: أريني. نعم. أستطيع تمامًا.

أولغا: انها الساعة العاشرة. بوسعك أن تمضي. هل حدثوك عن السدّ والبيت؟

ايفان: نعم.

أولغا: إذن، حظًا سعيدًا.

ايفان: لا تتحدثي عن المصائب. (هنيهة). هل تقبلينني؟

أولغا: بكل تأكيد (تقبله في وجنتيه) **ايفان** (يتجه ليأخذ المحفظة ويلتفت إذ يهم بالخروج فيقول بلهجة فكهة): إلى اللقاء يا رسكولنيكوف.

هوغو (مبتسمًا): اذهب إلى الشيطان! (يخرج هوغو) المشهد الثالث

هوغو وأولغا

أولغا: ما كان ينبغي لك أن تقول له أن يذهب إلى الشيطان.

هوغو: ولماذا؟

أولغا: ليست هذه أشياء تقال.

هوغو (مندهشًا) أتكونين يا أولغا موسوسة؟

أولغا (منزعجة) كلا، كلا.

هوغو (ينظر إليها متنبهًا): ماذا سيعمل؟

أولغا: لا حاجة بك إلى أن تعرف.

هوغو: هل سينسف جسر >> كورسك << ؟

أولغا: لماذا تريدينني أن أقول لك؟ كلّما قلّت معرفتك، في حال الأعمال الخطيرة، كان ذلك خيرًا.

هوغو: ولكن اتراك تعرفين أنت ما سوف يفعله؟

أولغا (رافعة كتفيها): اوه! انا...

هوغو: طبعًا، انت تمسكين لسانك. انك كلويس: قد يقتلونك ولا تتكلمين. (صمت قصير) من الذي يثبت لكم انني سأتكلم؟ انّى لكم أن تثقوا بي إن لم تمتحنوني؟

أولغا: ليس الحزب مدرسة مسائية. نحن لا نسعى إلى امتحانك ولكن إلى استخدامك وفق كفاءتك.

هوغو (مشيرًا إلى الآلة الكاتبة) وكفاءتي، أتكون هذه؟

أولغا: هل في قدرتك أن تخرّب الخطوط الحديدية؟

هوغو: لا.

أولغا: إذن؟ (صمت. هوغو ينظر في المرآة) هل ترى نفسك جميلًا؟

هوغو: انني أنظر لأرى إذا كنت أشبه أبي. (هنيهة) لو كان لي شاربان لكان الشبه عظيمًا.

أولغا (رافعة كتفيها) وبعد ذلك؟

هوغو: انني لا أحب أبي.

أولغا: هذا معروف.

هوغو: لقد قالي لي: >> أنا أيضًا كنت في زمني أنتمي إلى جمعية ثورية؛ وكنت أحرّر في صحيفتهم. ولكنك ستملّهم كما مللتهم... << .

أولغا: لماذا تروي لي ذلك؟

هوغو: من أجل لا شيء. انني أفكر بهذا كلما نظرت في مرآة. هذا كل ما في الأمر.

أولغا (مشيرة إلى باب قاعة الاجتماع): هل لويس هنا؟

هوغو: نعم.

أولغا: وهودرر؟

هوغو: لا أعرفه، ولكني اظهر انه هنا. من هو على التحقيق؟

أولغا: لقد كان نائبًا في << اللاندستاغ >> قبل الحلّ. أما الآن فهو أمين الحزب. وليس هودرر هو اسمه الحقيقي.

هوغو: وما هو اسمه الحقيقي؟

أولغا: لقد سبق أن قلت لك إن فضولك يتجاوز حدوده.

هوغو: إن صياحهم مرتفع، كأنما هم يتشاجرون.

أولغا: لقد جمع هودرر اللجنة ليطلب إليها التصويت على اقتراح.

هوغو: أيّ اقتراح هو؟

أولغا: لا أدري. ولكني أدري ان لويس يعارضه.

هوغو (مبتسمًا) إذا كان هو معارضًا، فأنا كذلك معارض. لا حاجة إلى معرفة القضية. (هنيهة) يجب أن تساعديني يا أولغا.

أولغا: في أي أمر؟

هوغو: اقناع لويس بأن يعهد إليّ في عمل مباشر. حسبي ضربًا على الآلة الكاتبة، بينما يواجه الرفاق الموت.

أولغا: انك تتعرض للمخاطر، أنت أيضًا.

هوغو: ليست هي المخاطر نفسها. (هنيهة) أولغا: لم تبق لي رغبةٌ في الحياة.

أولغا: حقًا؟ ولماذا؟

هوغو (بحركة) إنها شاقة أكثر مما ينبغي.

أولغا: ولكنك متزوج، مع ذلك؟

هوغو: لا أهمية لذلك؟.

أولغا: انك تحب زوجتك.

هوغو: نعم. بكل تأكيد. (هنيهة) إنّ شخصًا لا رغبة له بالحياة يمكن أن يُفيد، إن أحسن استخدامه. (هنيهة. صيحات وضوضاء من قاعة الاجتماع) إن الأمور لتسوء، هناك في الداخل.

أولغا (قلقة): تسوء جدًا.

المشهد الرابع

الأشخاص أنفسهم ولويس

(الباب يفتح. يخرج لويس مع رجلين آخرين يمران بسرعة فيفتحان باب الدخول ويخرجان) **لويس**: انتهى الأمر.

أولغا: هودرر؟

لويس: لقد ذهب من الخلف مع بوريس ولوكا.

أولغا: وإذن؟

لويس (يرفع كتفيه من غير أن يجيب. هنيهة ثم يقول): الادنياء!

أولغا: هل صوّتم؟

لويس: أجل (هنيهة) لقد سُمح له أن يقوم بمحادثات. ولا بدّ أن ينتصر حين يعود بعروض دقيقة واضحة.

أولغا: ومتى يكون الاجتماع القادم؟

لويس: بعد عشرة أيام. ان أمامنا بعد أسبوعًا على الأقل.

(أولغا تدله على هوغو) ماذا؟ آه... نعم... ألا تزال هنا؟ أنت؟

(ينظر إليه، ثم يستأنف بشرود): لا تزال هنا... (هوغو يقوم بحركة تنم عن رغبته بالذهاب) إبقَ هنا. ربما كان لك عندي عمل. (لأولغا) انك تعرفينه خيرًا مما أعرفه. فما هي قيمته؟

أولغا: إنه يَصْلُح.

لويس: أليس هو قابلًا للالتواء والخوف؟

أولغا: لا، بكل تأكيد، بل هو احرى به...

لويس: ماذا؟

أولغا: لا شيء. إنه يَصْلُح.

لويس: حسنًا (هنيهة) هل ذهب إيفان؟

أولغا: منذ ربع ساعة.

لويس: نحن في الأروقة الأولى: وسنسمع من هنا الانفجار (هنيهة. يعود نحو هوغو). يبدو أن بودّك أن >> تعمل << ؟

هوغو: أجل.

لويس: لماذا؟

هوغو: هكذا.

لويس: حسنًا. على انك لا تحسن استعمال أصابعك العشرة.

هوغو: هذا حق. لا أعرف أن أعمل شيئًا.

لويس: وإذن؟

هوغو: في آخر القرن الماضي، كان في روسيا أشخاص يعترضون طريق الدوق الكبير، وفي جيوبهم قنبلة. وكانت القنبلة تنفجر، فيتطاير الدوق الكبير أشلاء، وكذلك حامل القنبلة. استطيع أن أقوم بذلك.

لويس: أولئك كانوا فوضويين. وإنك لتحلم بهم لأنك مثلهم: مثقف فوضوي. ولكنك متأخر خمسين عامًا: لقد انتهى عهد الارهاب.

هوغو: أنا إذن غير صالح.

لويس: نعم، في هذا الميدان.

هوغو: لا نتحدث إذن بهذا بعدُ.

لويس: انتظر. (هنيهة) ربما وجدت لك عملًا تعمله.

هوغو: عملٌ << حقيقي >>؟

لويس: لِمَ لا؟

هوغو: وتثق << حقًا >> بي؟

لويس: هذا متوقف عليك.

هوغو: انني يا لويس أقوم بأي شيء.

لويس: سنرى. إجلس (هنيهة) هذا هو الموقف: من جهة، تقوم حكومة الوصي الفاشستية التي تماشي سياستها سياسة << المحور>>؛ ومن الجهة الأخرى يقوم حزبنا الذي يقاتل من أجل الديموقراطية، والحرية، ومن أجل مجتمع لا طبقات فيه. وبينهما << البانتاغون >> الذي يضمّ بالخفية البورجوازيين الأحرار والوطنيين. ثلاثة فرقاء لا مجال للتوفيق بين مصالحهم، ثلاث جماعات من البشر يتبادلون الكراهية والحقد. (هنيهة) ولقد جمعنا هودرر هذا المساء لأنه يريد أن يشترك حزب العمال مع الفاشيست والبانتاغون في اقتسام الحكم بعد الحرب. فما رأيك في ذلك؟

هوغو (مبتسمًا): اراك تسخر بي.

لويس: لماذا؟

هوغو: لأن هذا عمل سخيف أحمق.

لويس: ومع هذا، فتلك كانت هي القضية التي نوقشت هنا طوال ثلاث ساعات.

هوغو (مذعورًا): كيف ذلك؟... لكأنك تقول لي إن أولغا قد وشت بنا لدى الشرطة وإن الحزب قد قدم لها تهانئه.

لويس: ما العمل إذا كانت الأكثرية قد صوتت لصالح هذا التقارب؟

هوغو: اتسألني في ذلك جادًّا؟

لويس: نعم.

هوغو: لقد هجرت أسرتي وطبقتي يوم فهمت ما هو الاضطهاد. وأنا لن أقبل في أي حال تسوية معه.

لويس: ولكن ما الحيلة ان كانت الأمور قد بلغت هذا المبلغ؟

هوغو: ان كان الأمر كذلك، فسآخذ مفرقعة وامضي بها لاقتل شرطيًا في << الساحة الملكية >> أو جنديًا إذا واتاني بعض الحظّ. ثم اقف أمام الجثة منتظرًا ما قد يحدث لي. (هنيهة) الحق انها خرافة!

لويس: لا. لقد اقرت اللجنة عرض هودرر بأربعة أصوات مقابل ثلاثة. وفي الأسبوع القادم سيجتمع هودرر بمندوبي الوصي.

هوغو: هل تراهم قد اشتروه؟

لويس: لا أدري ولا يهمني أن أدري، إنه، موضوعيًا، رجل خائن، وحسْبي أن أعلم هذا.

هوغو: ولكن يا لويس... أخيرًا، لا أدري أنا... ان هذا عبث ومحال: ان الوصي يكرهنا. انه يطاردنا، ويحارب الاتحاد السوفياتي إلى جانب ألمانيا، وهو الذي امر باعدام أشخاص منا: فيكف يمكن أن...

لويس: ان الوصي فقد إيمانه بانتصار المحور: وهو يريد أن ينجو بجلده. فإذا ربح الحلفاء، فهو يود أن يستطيع القول انه كان يلعب على الحبلين.

هوغو: ولكن الفراق...

لويس: ان الحزب الشيوعي الذي أمثله هو كله ضد هودرر. ولكنك تعرف الحقيقة. ان حزب العمال قد ولد من اتحاد الحزب الشيوعي والاشتراكيين الديموقراطيين. وقد صوّت الاشتراكيون الديموقراطيون إلى جانب هودرر، وهم ينعمون بالأكثرية.

هوغو: ولكن لماذا؟

لويس: لأن هودرر يخيفهم...

هوغو: أليس بوسعنا أن نتخلى عنهم؟

لويس: فيحدث انشقاق؟ هذا مستحيل. (هنيهة) الست معنا، أيها الصغير؟

هوغو: لقد اخبرتماني، أولغا وأنت، بكل شيء، فأنا مدين لكما بكل شيء. والحزب في نظري هو انتما.

لويس (لأولغا): هل يعني ما يقوله؟

أولغا: نعم.

لويس: حسنًا (لهوغو) انك تفهم الموقف جيدًا: لا نستطيع أن ننشق ولا أن ننتصر في اللجنة. وانما القضية قضية مناورة لهودرر. ولولا هودرر لوضعنا

الآخرين في جيبنا (هنيهة) وقد طلب هودرر يوم الثلاثاء الماضي من الحزب أن يعين له سكرتيرًا. طالبًا متزوجًا.

هوغو: ولماذا يكون متزوجًا؟

لويس: لا أدري. هل أنت متزوج؟

هوغو: نعم.

لويس: وإذن؟ فهل أنت موافق؟ (يتبادلان النظر لحظة).

هوغو (بقوة): نعم.

لويس: حسنًا جدًا. ستذهب غدًا بصحبة زوجتك. انه يسكن على بعد عشرين كيلومترًا في بيت ريفي أعاره إياه صديق. وهو يعيش مع ثلاثة رجال أشداء هم هناك لمجابهة ما قد يحدث من أخطار. ولن يكون عليك إلا أن تراقبه؛ وسوف نتصل بك حال وصولك. ينبغي الا يلتقي بمبعوثي الوصي. أو ينبغي على أيّ حال الّا يلتقي بهم مرتين؛ هل فهمتني؟

هوغو: نعم.

لويس: وفي المساء الذي سنعيّنه لك، تفتح الباب لثلاثة رفاق ينجزون المهمة، وستكون في الطريق سيارة تستقلها مع زوجتك في هذه الأثناء وتفرّان بها.

هوغو: أوه! يا لويس.

لويس: ما بك؟

هوغو: أهذا إذن ما تريده مني؟ ليس الا هذا؟ أهذا هو الذي تراني جديرًا بالقيام به؟

لويس: ألست موافقًا؟

هوغو: كلا، على الاطلاق: أنا لا أود أن أقوم بدور الحمَل. انّ لنا طرقنا نحن أيضًا. فالمثقف الفوضوي لا يقبل أية مهمة.

أولغا: هوغو!

هوغو: هذا ما اقترحه عليكم: لا حاجة إلى الاتصال ولا إلى التجسس. سأقوم بالمهمة أنا نفسي.

لويس: أنت؟

هوغو: أنا.

لويس: انه عمل اشقّ مما ينبغي لهاوٍ مثلك.

هوغو: قد يلتقي قتلتكم الثلاثة بحراس هودرر، فيعرّضون أنفسهم للهلاك. أما أنا، فإن كنت سكرتيره، وان حزت على ثقته، فسأكون وحدي معه بضع ساعات كل يوم.

لويس: (مترددًا): لا...

أولغا: لويس!

لويس: ماذا؟

أولغا: (على مهل): ثق به. انه فتى صغير يبحث عن حظه، وسيمضي حتى النهاية.

لويس: هل تكفلينه؟

أولغا: كليًّا.

لويس: حسنًا. إذن اسمع...

(انفجار أصم في البعيد)

أولغا: لقد نجح.

لويس: اطفئي النور! افتح النافذة يا هوغو!

(يطفئون النور ويفتحون النافذة. تنبعث من الداخل نار حريق أحمر)

أولغا: هناك حريق، حريق. لقد نجح. (يقفون كلهم عند النافذة).

هوغو: لقد نجح. قبل نهاية الأسبوع، ستكونان هنا انتما الاثنين، في مثل هذه الليلة، تترقبان الأنباء؛ وستكونان قلقين، وستتحدثان عني فيكون لي في

نفسيكما شأن. وسوف تتساءلان: ماذا يفعل؟ ثم تتلقيان مخابرة تلفونية، أو يطرق أحدهم الباب، فتبتسمان كما تفعلان، ثم تقولان: >> لقد نجح <<.

ستـــــار

الفصل الثالث

(مقصورة، سرير، خزائن، مقاعد، كراسي. ثياب امرأة على جميع الكراسي، وحقائب مفتوحة موضوعة على السرير)

جسيكا ترتب الأثاث. تذهب إلى النافذة لتنظر. تعود. تتجه إلى حقيبة مغلقة موضوعة في زاوية، وعليها حرفا >> ه.ب. <<، فتجرها إلى مقدم المسرح، وتعود فتلقي نظرة من النافذة، ثم تأتي لتأخذ ثوب رجل معلقًا في خزانة، فتبحث في جيوبه وتخرج مفتاحًا تفتح به الحقيبة، وتعيث فيها على عجل، وتعود إلى النافذة لتنظر، ثم ترجع وتفتش فتجد شيئًا تنظر إليه، وهي تولي الجمهور ظهرها؛ نظرة جديدة إلى النافذة. ترتعش، وتغلق الحقيبة بسرعة، ثم تضع المفتاح في السترة، وتخفي تحت الفراش ما كان في يدها من أشياء. يدخل هوغو).

المشهد الأول

جسيكا، هوغو

هوغو: لقد استبقاني أكثر مما كنت أقدِّر. هل وجدتِ الوقت طويلًا؟

جسّيكا: بشكل فظيع!

هوغو: ماذا فعلت؟

جسّيكا: لقد نمت.

هوغو: ان من ينام لا يجد الوقت طويلًا.

جسّيكا: حلمت اني أشعر بأن الوقت طويل، فأيقظني ذلك، وقمت أحلّ الحقائب. كيف ترى وضع الأشياء؟ (تشير إلى خليط الثياب على السرير والكراسي) **هوغو**: لا أدري. هل هو وضع مؤقت؟

جسّيكا (بحزم) بل هو نهائي.

هوغو: حسنًا جدًا.

جسيكا: كيف رأيته؟

هوغو: من؟

جسيكا: هودرر؟

هوغو: هودرر؟ إنه كسائر الناس.

جسيكا: ما عمره؟

هوغو: بين عمرين.

جسيكا: أيّ عمرين؟

هوغو: العشرين والستين.

جسيكا: طويلٌ هو أم قصير؟

هوغو: معتدل.

جسيكا: علامة فارقة؟

هوغو: جرحٌ طويل في الوجه وشعرٌ مستعار وعينٌ من زجاج.

جسيكا: يا للفظاعة!

هوغو: هذا غير صحيح، فليست له علامة فارقة.

جسيكا: اراك تتخابث، ولكنك ستعجز عن أن تصفه لي.

هوغو: لا، لن أعجز بكل تأكيد.

جسيكا: بل انك لتعجز.

هوغو: لا

جسيكا: بلى. ما هو لون عينيه؟

هوغو: رماديّ.

جسيكا: يا نحلتي المسكينة! إنك تعتقد ان كل العيون رمادية. ان فيها الزرقاء والكستنائي والأخضر والأسود، بل إن فيها البنفسجي. فأي لون هو لون عينيّ؟ (تخفي عينيها بيدها) لا تنظر.

هوغو: انهما جناحان من حرير، حديقتان اندلسيتان، سمكتان قمريتان.

جسيكا: أسألك عن لونهما.

هوغو: أزرق.

جسيكا: لقد نظرت.

هوغو: كلا. ولكنكِ قلت لي ذلك هذا الصباح.

جسيكا: أبله. (تقترب منه) تذكّر جيدًا يا هوغو: هل له شاربان؟

هوغو: لا (هنيهة. بحزم) انني على يقين ان ليس له شاربان.

جسيكا (بحزن): بودّي لو أصدقك.

هوغو (يفكر ثم ينطلق قائلًا): كانت له ربطة عنق منقّطة.

جسيكا: منقّطة؟

هوغو: منقّطة.

جسيكا: عجبًا!

هوغو: ذات شكل... (حركة يقصد بها عقدة خاصة) انت تعرفينها.

جسيكا: لقد فضحت نفسك واستسلمت. لا شك انك كنت تنظر إلى عقدته طوال الوقت الذي كان يحدثك فيه. لقد أخافك يا هوغو.

هوغو: كلا... أي كلام هذا!

جسيكا: بلى، لقد أخافك.

هوغو: إنه لا يخيف.

جسيكا: لماذا كنت إذن تنظر إلى عقدة رقبته؟

هوغو: كي لا أخيفه!

جسيكا: هذا جميل. أما أنا فسأنظر إليه، فإذا شئت ان تعرف كيف هو، فليس لك إلا أن تسألني. ماذا قال لك؟

هوغو: قلت له إن والدي كان نائبًا لرئيس << مصانع الفحم >> في << توسك >> واني تركته لأنخرط في الحزب.

جسيكا: وبمَ أجابك؟

هوغو: أجابني بأن هذا حسن.

جسيكا: وبعد ذلك؟

هوغو: لم أخْفِ عنه اني قد حصلت على شهادة الدكتوراه، ولكني افهمته جيدًا انني لست مثقفًا متعاليًا، وانني لا احمرّ خجلًا من القيام بعمل ضارب على الآلة أو ناسخ، وانني أضع شرفي في الطاعة والنظام الصارم.

جسيكا: وبمَ أجابك؟

هوغو: أجابني بأن ذلك حسن.

جسيكا: وهل استغرق هذا ساعتين؟

هوغو: كانت هناك فترات الصمت.

جسيكا: إنك من أولئك الناس الذين يحدثوننا عما قالوه دائمًا للآخرين، ولا يحدثوننا أبدًا عما أجابهم به الآخرون.

هوغو: ذلك اني اعتقد أن اهتمامك بي أشد من اهتمامك بالآخرين.

جسيكا: بكل تأكيد يا نحلتي. ولكني أملكك أنت. أما الآخرون، فلا أملكهم.

هوغو: أتودين أن تملكي هودرر؟

جسيكا: أودّ أن أملك جميع الناس.

هوغو: >> هم <<! إنه مبتذل.

جسيكا: انّى لك أن تعرف ذلك ما دمتّ لم تنظر إليه؟

هوغو: إن من يربط عقدة منقّطة هو مبتذل لا محالة.

جسيكا: لقد كانت الامبراطورات اليونانيات يضاجعن قادةً من البربر.

هوغو: لم يكن في اليونان امبراطورات.

جسيكا: بل كان في بيزنطة امبراطورات.

هوغو: كان في بيزنطة امبراطورات يونانيات وقادة من البربر، ولكن التاريخ لا يشير إلى ما كانوا يفعلون.

جسيكا: ما عساهم أن يفعلوا غير ذلك؟ (صمت قصير) هل سألك عني؟

هوغو: لا.

جسيكا: وحتى لو سألك، ما كنت تستطيع الجواب: فأنت لا تعرف شيئًا. أو لم يقل شيئًا آخر عني؟

هوغو: لم يقل شيئًا.

جسيكا: انه مفتقر إلى اللياقة.

هوغو: ترين ذلك. لقد فاتك اوان الاهتمام به.

جسيكا: ولماذا؟

هوغو: أتمسكين لسانك؟

جسيكا: بكلتا يدي.

هوغو: انه سوف يموت.

جسيكا: هل هو مريض؟

هوغو: لا، ولكنه سيُغتال. كجميع رجال السياسة.

جسيكا: آه! (هنيهة) وأنت، يا نحلة صغيرة، هل أنت رجل سياسي؟

هوغو: بالطبع.

جسيكا: وما الذي ينبغي أن تفعله أرملة رجل سياسي؟

هوغو: تنخرط في حزب زوجها وتُنجز عمله.

جسيكا: يا الهي! انني اوثر أن أقتل نفسي على قبرك.

هوغو: هذا أمرٌ لا يفعلونه بعدُ إلا في << مالابار >>.

جسيكا: اسمع إذن ما الذي سأفعله: سأسعى للقاء قاتليك واحدًا واحدًا فأحرقهم حُبًّا، حتى إذا ظنّوا آخر الأمر انهم استطاعوا أن يفرّجوا عني الحزن، أغمدت سكينًا في قلوبهم.

هوغو: أيهما أكثر تسليةً لك: أن تقتليهم أو أن تغويهم؟

جسيكا: انك سخيف ومبتذل.

هوغو: كنت أحسب انك تحبين الرجال المبتذلين.

(جسيكا لا تجيب) هل نمزح أو لا نمزح؟

جسيكا: لا نمزح بعدُ. دعني أحلّ حقائبي.

هوغو: هيّا، هيا.

جسيكا: لم تبق إلا حقيبتك. اعطني المفتاح.

هوغو: لقد أعطيتك إياه.

جسيكا (مشيرة إلى الحقيبة التي فتحتها في أول الفصل) لم تعطني مفتاح هذه.

هوغو: أمّا هذه فسأحلّها أنا نفسي.

جسيكا: ليس هذا عملك، يا روحي الصغير.

هوغو: ومتى كان ذلك عملك؟ هل تريدين أن تمثّلي دور سيدة البيت؟

جسيكا: انك انت تقوم بدور الثوري.

هوغو: الثوريون ليسوا بحاجة إلى سيدات بيت: انهم يقصّون شعورهنّ.

جسيكا: إنهم يؤثرون الذئبات ذوات الشعر الأسود، كأولغا.

هوغو: هل غرت منها؟

جسيكا: يا ليت!. انني لم أمثل دور المرأة الغيور قط.

فهل أمثله الآن؟

هوغو: إذا كنت تشائين.

جسيكا: حسنًا. اعطني إذن مفتاح هذه الحقيبة.

هوغو: أبدًا.

جسيكا: ماذا تخفي في هذه الحقيبة؟

هوغو: سرًا مخجلًا.

جسيكا: أيّ سرّ؟

هوغو: انني لست ولد أبي.

جسيكا: كم كان ذلك يفرحك، يا نحلتي. ولكنه ليس ممكنًا فأنت تشبهه شبهًا بالغًا.

هوغو: هذا غير صحيح يا جسيكا. هل ترين اني أشبهه؟

جسيكا: هل نمزح أو لا نمزح؟

هوغو: نمزح.

جسيكا: افتح إذن هذه الحقيبة.

هوغو: لقد أقسمت ألا أفتحها.

جسيكا: انها محشوة برسائل الذئبة! أو ربما بصور؟ افتحها.

هوغو: لا، لن أفتحها.

جسيكا: افتحها، افتحها.

هوغو: كلا، ثم كلا.

جسيكا: أتمزح؟

هوغو: أجل.

جسيكا: هدنة إذن. انني لا أمثل بعد. افتح الحقيبة.

هوغو: هدنة مرفوضة. لن افتحها.

جسيكا: الأمر لديّ سواء، فأنا أعرف ما في داخلها.

هوغو: وما في داخلها؟

جسيكا: فيها... فيها... (تدخل يدها تحت الفراش، ثم تضع يديها خلف ظهرها ثم تبرز صورًا) فيها هذه!

هوغو: جسيكا!

جسيكا (منتصرة): لقد وجدت المفتاح في ثوبك الأزرق، وأنا أعلم من هي عشيقتك، أميرتك، امبراطورتك. ليست هي أنا، وليست الذئبة، وإنما هي أنت يا عزيزي، نفسك بالذات. اثنتا عشرة صورة في الحقيبة، وكلها تمثلك.

هوغو: اعيدي لي هذه الصور.

جسيكا: اثنتا عشرة صورة من صباك الحالم. في الثالثة من عمرك، وفي السادسة، والثامنة، والعاشرة والثانية عشرة والسادسة عشرة. لقد حملتها حين طردك أبوك، فهي تتبعك حيثما توجهت: ما اشدّ ما تحب نفسك!

هوغو: جسيكا، لقد كففت عن المزاح.

جسيكا: كنت في السادسة تضع ياقةً قاسية، لا بد انها كانت تقشر عنقك الزغبة، وثوبًا مخمليًا برمته وربطة عنق. أي رجل صغير جميل، أي فتى عاقل! ان الفتيان العاقلين، يا سيدتي، هم الذين يصبحون أشد الثوريين ارهابًا. انهم يقولون شيئًا، ولا يختبئون تحت الطاولة، ولا يأكلون الحلوى إلا حبّة حبة، ولكنهم يجعلون المجتمع فيما بعد يدفع ثمنها غاليًا. احذروا الفتيان العاقلين!

(يصطنع هوغو الاستسلام، ولكنه سرعان ما يقفز إليها)

هوغو: ستعيدينها لي أيتها الساحرة! لا بدّ ان تعيديها لي.

جسيكا: دعني (يقلبها على السرير) حذار. سوف تعرّضنا للقتل.

هوغو: أعيديها.

جسيكا: أقول لك أن المسدس سينطلق (ينهض هوغو، فتبرز المسدس الذي كانت ممسكة به خلف ظهرها) لقد كان هذا أيضًا في الحقيبة.

هوغو: إليّ به. (يأخذه منها، ويذهب فيبحث في ثوبه الأسمر ويأخذ المفتاح، ثم يعود إلى الحقيبة فيفتحها، ويلم الصور فيضعها في الحقيبة مع المسدس. هنيهة).

جسيكا: ما هذا المسدس؟

هوغو: اني أحمل دائمًا مسدسًا.

جسيكا: ليس هذا صحيحًا. لم يكن معك مسدس قبل أن تأتي إلى هنا. بل لم تكن معك هذه الحقيبة أصلًا. لقد اشتريتهما في وقت واحد. لماذا تحمل هذا المسدس؟

هوغو: أتريدين حقًا ان تعرفي السبب؟

جسيكا: نعم، ولكنْ أجبني جادًّا. لا يحقّ لك أن تبقيني خارج حياتك.

هوغو: تعدين ألّا تحدثي عن ذلك أحدًا؟

جسيكا: أعدك اني لا أحدّث أحدًا في الدنيا.

هوغو: انه من أجل أن أقتل هودرر.

جسيكا: ما أشد ما تضجرني يا هوغو! أقول لك انني لا أمزح بعد.

هوغو: ها، ها. وهل تراني أنا أمزح؟ ألست جادًّا؟ عجبًا... يا جسيكا. ستصبحين زوجة قاتل!

جسيكا: ولكنك لن تقدر على ذلك أبدًا يا نحلتي الصغيرة المسكينة؛ أتريد أن أقتله بدلًا عنك؟ سوف أذهب فأعرض عليه نفسي ثم...

هوغو: شكرًا لك، ثم انك ستخطئينه. سأعمل أنا نفسي.

جسيكا: ولكن لِمَ تريد قتله؟ رجلٌ لا تعرفه؟

هوغو: حتى تعتبرني زوجتي جادًّا. هل ستعتبرينني جادًّا؟

جسيكا: أنا؟ سوف أفخر بك، سوف أخفيك، سوف اغذّيك، وسوف أسلّيك في مخبأك، وإذا ما وشى بنا الجيران، فسأرتمي عليك بالرغم من رجال الشرطة، وسأشدّك بين ذراعي وأنا اهتف بك: أحبّك...

هوغو: قوليها لي الآن.

جسيكا: ماذا؟

هوغو: انك تحبينني.

جسيكا: أحبك.

هوغو: قوليها لي صادقة.

جسيكا: أحبّك.

هوغو: انك لا تقولينها صادقة.

جسيكا: ولكن ماذا دهاك؟ هل أنت تمزح؟

هوغو: لا، لا أمزح.

جسيكا: لماذا تسألني هذا؟ ليس ذلك من عادتك.

هوغو: لا أدري. إن بودّي أن اعتقد انك تحبينني. وهذا من حقي دون ريب. هيّا، قوليها. قوليها >> جيّدًا <<.

جسيكا: أحبك، أحبك. لا: أحبّك. آه! ليأخذك الشيطان! كيف تقولها أنت؟

هوغو: أحبك.

جسيكا: أترى؟ إنك لا تقولها خيرًا مني.

هوغو: ألا تعتقدين بما قلته لك؟

جسيكا: من انك تحبني؟

هوغو: من انني سأقتل هودرر؟

جسيكا: طبعًا اعتقد به.

هوغو: ابذلي بعض الجهد يا جسيكا. كوني جادّة.

جسيكا: لماذا ينبغي لي أن أكون جادّة؟

هوغو: لأنه ليس بالإمكان أن يمزح المرء طوال الوقت.

جسيكا: لا أحب الجد، ولكن يمكن تدبير الأمر: سأحاول تمثيلًا أن أكون جادة.

هوغو: انظري إليّ في عينيّ. دون ما ضحك اسمعي: إن الأمر جدٌ في ما يتعلق بهودرر. فالحزب هو الذي أرسلني لذلك.

جسيكا: لا أشك في هذا. ولكن لماذا لم تقل لي ذلك قبل الآن؟

هوغو: ربما كنت ترفضين أن تصحبيني.

جسيكا: لماذا؟ ان هذه شؤون رجال، وهي لا تعنيني.

هوغو: إنها لمهمة غريبة، لو تدرين... يبدو أن صاحبنا صلب المراس.

جسيكا: إذن سنخدِّره ونشدّه إلى فوهة مدفع.

هوغو: جسيكا! انني جادّ في ما أقول.

جسيكا: وأنا أيضًا.

هوغو: انت تحاولين تمثيلًا أن تكوني جادّة. وقد قلت لي ذلك.

جسيكا: لا بل أنت.

هوغو: يجب أن تصدقيني، ابتهل إليك في ذلك؟

جسيكا: سأصدقك إذا صدقت باني جادّة.

هوغو: حسنًا. انني أصدقك.

جسيكا: لا، بل أنت تحاول لعبًا أن تصدقني.

هوغو: لن ننتهي من ذلك، ولن نخرج منه أبدًا (قرع على الباب) ادخل.

(تقف جسيكا بالقرب من الحقيبة، مولية الجمهور ظهرها، بينما يتجه هو ليفتح الباب)

المشهد الثاني

سليك، جورج، هوغو، جسيكا.

(يدخل سليك وجورج مبتسمين، وفي كتفيهما بندقيتان سريعتا الطلقات، وقد تمنطقا بمسدسين. صمت)

جورج: ها نحن ذان.

هوغو: نعم؟

جورج: اتينا نرى ان كنت بحاجة إلى مساعدة.

هوغو: مساعدة لأي شيء؟

سليك: لترتيب الأثاث.

جسيكا: انكما حقًا لطيفان، ولكني لست بحاجة إلى أحد.

جورج (مشيرًا إلى الثياب النسوية المنتثرة على قطع الأثاث) إن كل هذا ينبغي أن يُرتّب.

سليك: إن الأمر لينتهي على عجل إذا اشتركنا فيه نحن الأربعة.

جسيكا: أتظنّ ذلك؟

سليك (يتناول ثوبًا نسويًا داخليًا ملقى على ظهر كرسي ويمسكه بطرف يده): إن هذا يُطوى من الوسط، أليس كذلك؟ ثم تُردَّ جوانبه؟

جسيكا: نعم؟ حسنًا. احرى بك في رأيي أن تتخصص بأعمال القوة.

جورج: لا تمسّه يا سليك، وإلّا فسيوحي لك بأشياء! اعذريه يا سيدتي: فها هي ستة أشهر تمضي من غير أن نرى امرأة.

سليك: بل بتنا لا ندري كيف هُن مخلوقات. (ينظران إليها)

جسيكا: وهل تستعيدان هيأتهنّ الآن؟

جورج: شيئًا فشيئًا.

جسيكا: ولكن أليس في القرية نساء؟

سليك: بلى، ولكنهن لا يخرجن.

جورج: كان السكرتير القديم يقفز كل ليلة من فوق الجدار، حتى وُجد ذات صباح، ورأسه في مستنقع أسن. وإذ ذاك قرر صاحبنا أن يكون خلفُه متزوجًا ليرضي حاجته في بيته.

جسيكا: لقد كان هذا في غاية اللباقة.

سليك: أما نحن، فلم يخطر بباله أن نرضي حاجتنا.

جسيكا: عجبًا! لماذا؟

جورج: يقول انه يريد أن نكون وحوشًا كاسرة.

هوغو: انهما حارسا هودرر.

جسيكا: تصوّر انني حززت ذلك.

سليك: (مشيرًا إلى بندقيته سريعة الطلقات) بسبب هذه؟

جسيكا: بسبب هذه أيضًا.

جورج: ينبغي الّا نُعتبر ممتهنين... حذار من ذلك! فأنا في الحقيقة اطفائي، ولئن جاوزنا مهنتنا فلأنّ الحزب طلب إلينا ذلك.

سليك: ألسنا تخافاننا؟

جسيكا: بالعكس؛ على انني أحب أن تتحللا من أسلحتكما (مشيرة إلى البندقيتين والمسدسين). ضعَاها في زاوية.

جورج: هذا مستحيل.

سليك: ممنوع.

جسيكا: وهل تنزعانها قبل النوم؟

جورج: لا يا سيدتي.

جسيكا: لا؟

سليك: لا.

هوغو: انهما شديدا الحرص على الأوامر. وحين دخلت على هودرر، كانا يدفعانني بفوهتي بندقيتيهما.

جورج: (ضاحكًا) هكذا نحن.

سليك: ولو قد تحرّك، إذن لأصبحت أرملة. (الجميع يضحكون)

جسيكا: إن سيدكما خائف إذن؟

سليك: انه ليس بخائف، ولكنه لا يريد أن يُقتل.

جسيكا: ولماذا تُراه يُقتل؟

سليك: لماذا، لست أدري. ولكنّ الذي لا ريب فيه انهم يريدون قتله. وقد أقبل رفاقه يبلغونه ذلك منذ خمسة عشر يومًا.

جسيكا: ان هذا لشديد الأهمية.

سليك: يجب القيام بالحراسة. هذا كل شيء. اوه! سوف تدركين ذلك. وليس في هذا أي مظهر مسرحيّ.

(بينما يجيب سليك، يطوف جورج بالغرفة باهمال مصطنع، ثم يذهب إلى الخزانة المفتوحة فيخرج منها ثوب هوغو) **جورج**: هيه يا سليك، انظر كم هو مهفهف!

سليك: ان هذا يؤلف قسمًا من مهنته. إنك لتنظر إلى سكرتيرك بينا هو يخطّ ما تتحدث به، فينبغي أن يروق لك، والّا فإنك تفقد خيط أفكارك.

(جورج يجس الثوب متصنعًا انه ينفض عنه الغبار)

جورج: احذروا الخزائن، فإن جدرانها متداعية.

(يعود فيضع الثوب في الخزانة ثم يرجع إلى مقربة من سليك. جسيكا وهوغو يتبادلان النظر)

جسيكا: (عازمة) ولكن اجلسا.

سليك: لا، لا، شكرًا.

جورج: لا ضير علينا ونحن كذلك.

جسيكا: ليس باستطاعتنا ان نقدم لكم شيئًا تشربانه.

سليك: أيًا ما كان، فنحن لا نشرب في أثناء الوظيفة.

هوغو: وهل انتما في الوظيفة؟

جورج: نحن << دائمًا >> في الوظيفة.

هوغو: هكذا إذن؟

سليك: أقول لك إن على من يقوم بهذه المهنة المحترمة ان يكون قديسًا.

هوغو: أما أنا، فلستُ بعدُ في الوظيفة. انني في منزلي مع زوجتي. لنجلس مع جسيكا (يجلسان).

سليك: (متجهًا إلى النافذة) منظر بديع!

جورج: إن منزلهما لجميل.

سليك: وهادئ.

جورج: هل رأيت السرير ما أعرضه...! إنه يتسع لثلاثة.

سليك: بل لأربعة، فإن العرسان الجدد يتلبدون.

جورج: كل هذا الحيّز الضائع، بينا هناك من يفترشون الأرض.

سليك: اسكت، فيبدو اني سأحلم بذلك هذه الليلة!

جسيكا: أليس لك سرير؟

سليك (بمرح): اسمع يا جورج!

جورج (ضاحكًا): أجل.

سليك: تسألنا إن كان لنا سرير!

جورج: (مشيرًا إلى سليك) انه ينام على سجادة المكتب، وأنا في الرواق، بالقرب من غرفة صاحبنا.

جسيكا: وهل هذا شاقّ؟

جورج: انه شاقّ بالنسبة لزوجك، لأنه يبدو رقيق الطبع. أما نحن فقد اعتدنا ذلك. ولكن المزعج اننا لا نجد غرفة نأوي إليها. وليست الحديقة صحّية، من أجل هذا نقضي نهارنا في الرواق. (ينحني فينظر تحت السرير).

هوغو: إلامَ تنظر؟

جورج: يتفق أحيانًا أن تكون هناك جرذان. (ينهض)

هوغو: ألم تجد؟

جورج: لا.

هوغو: من حسن الحظ. (هنيهة)

جسيكا: وهل تركتماه وحده، رئيسكما؟ الا تخشيان ان يُصاب بشرّ إن طالت غيبتكما؟

سليك: لقد بقي ليون هناك (مشيرًا إلى آلة التلفون). ثم ان حدثت هناك فرقعة فإن بوسعه أن ينادينا.

(هنيهة. ينهض هوغو، وقد امتقع لونه من فرط العصبية. تنهض جسيكا أيضًا)

هوغو: انهما ظريفان، أليس كذلك؟

جسيكا: لذيذان.

هوغو: وهل رأيت أي جسمين يملكان؟

هوغو: ألواح! آه! سيكونون ثلاثيًا من الأصدقاء. إن زوجي يعشق القتلة. وقد كان بوده لو يكون واحدًا منهم.

سليك: ليس هو مخلوقًا لذلك. إنه مخلوق ليكون سكرتيرًا.

هوغو: ستريان ان بوسعنا ان نتفاهم، هيا! سأكون أنا الدماغ، وجسيكا العينين، وانتما العضلات. جسّي العضلات يا جسيكا! (يجسها) إنها من حديد. جسّيها.

جسيكا: ولكن لعلّ السيد جورج لا يرغب في ذلك؟

جورج (متصلبًا): إن الأمر لديّ سواء.

هوغو: أترين؟ إنه يسرّه ذلك. هيّا، جُسّي يا جسيكا، جسي. (جسيكا تجس) حديد، أليس كذلك؟

جسيكا: فولاذ.

هوغو: أتريدون أن نتكلم نحن الثلاثة من غير كلفة؟

سليك: إذا شئت أيها الأخ الصغير.

جسيكا: إنه للطفٌ بالغ منكما أن تأتيا لرؤيتنا.

سليك: إن السرور كله لنا، أليس كذلك يا جورج؟

جورج: إنه ليسعدنا أن نكون قد رأينا سعادتكما.

جسيكا: سيكون ذلك موضوع حديث لكما في الرواق.

سليك: بكل تأكيد، ثم اننا سنقول في الليل: >> انهما في الدفء وإنه ليشدّ زوجته بين ذراعيه <<.

جورج: وذلك ما سوف يشجعنا.

هوغو (يتجه إلى الباب ويفتحه): عودا متى شئتما، فأنتما في بيتكما.

(سليك يتجه بهدوء إلى الباب ويعيد إغلاقه)

سليك: سنذهب. سنذهب على الفور، بعد التحقق من امر شكلي صغير.

هوغو: أي أمر شكلي؟

سليك: تفتيش الغرفة.

هوغو: كلا.

جورج: كلا؟

هوغو: لن تفتشا شيئًا على الاطلاق.

سليك: لا تتعب نفسك أيها العنيد، فإن لدينا أوامر بذلك.

هوغو: أوامر ممّن؟

سليك: من هودرر.

هوغو: هودرر هو الذي أعطاكما الأمر بتفتيش غرفتي؟

جورج: اسمع يا عنيدي الصغير، لا تكن أبله. قلت لك انهم قد انذرونا بأنه لا بدّ أن ينفجر بارودٌ ذات يوم. أفتظنّ إذن اننا سندعك تدخل إلى هنا من غير أن ننظر في جيوبك؟ ان بوسعك ان تحمل قنابل أو أي نوع من المتفجرات، على الرغم من اعتقادي بأنك لا تصلح حتى لصيد الحمام.

هوغو: أسألكما عما إذا كان هودرر بالذات قد كلفكما بأن تفتشا في غرفتي.

سليك (لجورج): هو بالذات.

جورج: هو بالذات.

سليك: إن أحدًا لا يدخل هنا من غير أن نفتّشه. تلك هي القاعدة، وهذا كل شيء...

هوغو: أما أنا، فلن تفتشاني، وذلك هو الاستثناء. هذا كل شيء...

جورج: ألست من الحزب؟

هوغو: بلى.

جورج: إذن ماذا علموك هناك؟ الا تعلم ما يعنيه الأمر؟

هوغو: اني اعلمه مثل علمكما له.

سليك: وحين يصدرون إليك أمرًا، فأنت تعلم انه ينبغي لك أن تحترمه؟

هوغو: نعم أعلم.

سليك: وإذن؟

هوغو: انني احترم الأوامر، ولكني احترم نفسي أنا أيضًا، ولا أطيع الأوامر السخيفة التي صُنعت خصيصًا لتجعلني ضحكةً للناس.

سليك: انك تسمعه يا جورج. قلْ لي، هل تحترم نفسك؟

جورج: لا اظن. وقد يكون. وانت يا سليك؟

سليك: اتراك مجنونًا؟ انه لا يحق لك أن تحترم نفسك إن لم تكن على الأقل سكرتيرًا.

هوغو: يا للأبلهين المسكينين! لئن انخرطت في الحزب، فمن أجل أن يحق لكل الناس، سواء كانوا سكرتارين أم لا، ان يحترموا أنفسهم.

جورج: أسْكته يا سليك أو أبكي. أما نحن، يا عنيدي الصغير، فإن كنا قد انخرطنا في الحزب، فلأننا بتنا لا نطيق بعدُ ان نتضور جوعًا.

سليك: ولكي يملك كل من كان من طينتنا ما يزدردونه ذات يوم.

جورج: حَسبك تخليطًا يا سليك. لنبدأ بفتح هذه الحقيبة.

هوغو: انك لن تمسّها.

سليك: أتظنّ ذلك يا عنيدي الصغير؟ وكيف تراك تستطيع أن تمنعني من ذلك؟

هوغو: لن أحاول مقاومة مِحدلةٍ. ولكن إذا وضعت يدك عليها فحسب، فسنترك المقصورة هذا المساء، ويكون باستطاعة هودرر أن يبحث له عن سكرتير آخر.

جورج: اوه! قلْ لي، هل تخيفني بتهديدك؟ انني أصنع كل يوم سكرتيرًا مثلك!

هوغو: إذن، فتش الحقيبة ان لم تكن خائفًا، فتشها!

(يحك جورج رأسه. تتقدم منهم جسيكا التي ظلت هادئة طوال هذا المشهد)

جسيكا: لماذا لا نخابر هودرر بالتلفون؟

سليك: هودرر؟

جسيكا: سوف يوفق بينكم.

(جورج وسليك يتشاوران بالنظر)

جورج: هذا ممكن (يتجه إلى آلة التلفون ويرفع السماعة) آلو، ليون؟ إذهب فقل لصاحبنا ان السكرتير الصغير يرفض ان نفتشه. ماذا؟ اوه، تدجيل. (عائدًا نحو سليك) لقد ذهب ليرى الرئيس.

سليك: حسنًا. ولكنني اريد أن أقول لك شيئًا يا جورج. انني أحبه، هودرر. ولكن إذا خطر له أن يستثني من الأوامر هذا الطفل الغني بينما كنا نعرّي كل من أتى قبله، فانني مستقيل.

جورج: أوافقك على ذلك. فإما أن يأتمر وإما أن نترك نحن.

سليك: ربما كنت لا احترم نفسي، ولكنّ لي عزتي كالآخرين.

هوغو: هذا ممكن جدًا يا رفيقي الكبير؛ ولكن إذا كان هودرر هو الذي سيصدر أمر التفتيش، فاني سأغادر هذا المنزل بعد خمس دقائق.

جورج: سليك!

سليك: ماذا؟

جورج: الا ترى أن السيد يحمل طابع الارستوقراطي؟

هوغو: جسيكا!

جسيكا: ماذا؟

هوغو: الا ترين ان هذين السيدين يحملان طابع رجال الشرطة؟

سليك (يمشي إليه ويضع يده على كتفه) انت مخطئ يا صغيري. ومع ذلك، فإذا اصررت على اعتبارنا من رجال الشرطة، فنحن على استعداد لأن نتضارب!

(يدخل هودرر)

المشهد الثالث

الاشخاص أنفسهم وهودرر

هودرر: لماذا تزعجونني؟

سليك (يتراجع خطوة): انه لا يريد أن نفتشه.

هودرر: لا يريد؟

هوغو: إذا سمحت لهم بأن يفتشوني، فاني ارحل. هذا هو كل شيء.

هودرر: حسنًا.

جورج: وإذا منعتنا عن ذلك، فنحن الذين سنرحل.

هودرر: اجلسوا (يجلسون على مضض) بالمناسبة، انك تستطيع يا هوغو أن تحدثني من غير كلفة. اننا جميعًا هنا نتحدث كذلك.

(يأخذ ثوبًا داخليًا (سليب) وجوربين من على ظهر المقعد، ويهم بحملها إلى السرير)

جسيكا: أتسمح؟ (تأخذها من يديه وتلفها كومة تقذف بها إلى السرير من غير أن تريم).

هودرر: ما اسمك؟

جسيكا: والنساء أيضًا، تحدثهن من غير كلفة؟

هودرر: نعم.

جسيكا: سأعتاد ذلك. اسمي جسيكا.

هودرر (مستمرًا في النظر إليها): كنت أحسب انك ستكونين قبيحة.

جسيكا: انني آسفة.

هودرر (مستمرًا في النظر إليها): أجل ان هذا لمؤسف.

جسيكا: هل ينبغي لي أن أحلق رأسي؟

هودرر (من غير أن يكف عن النظر إليها) لا. (يبعد قليلًا عنها) أبسببك همّوا بأن يتضاربوا؟

جسيكا: لم يحدث ذلك بعد.

هودرر: يجب الّا يحدث ذلك مطلقًا. (يجلس في المقعد). أما التفتيش، فلا ضرورة له.

سليك: اننا...

هودرر: لا ضرورة له البتة. وسوف نتحدث عن ذلك مرة أخرى، (لسليك) ماذا حدث؟ وما الذي تأخذانه عليه؟ أهو يرتدي ثيابًا أنيقة أكثر مما ينبغي؟ أهو يتكلم ككتاب؟

سليك: انها قضية طبقة.

هودرر: لا مجال هنا لمثل هذا. إن الطبقات تُترك خارجًا. (ينظر إليهم) لقد بدأتم بداءة سيئة يا أولادي. (لهوغو) أما أنت، فتتدرّع بالشموخ والغطرسة لأنك أضعف الجميع. (لسليك وجورج) وأما انتما، فتبدوان على أسوأ مظهر. لقد بدأتما تنظران إليه شزرًا. وغدًا سوف تدبّران له >> المقالب <<، وفي الأسبوع القادم، حين أكون بحاجة إلى أن أملي عليه رسالة، ستأتيان لتقولا لي انكما انتشلتماه من المستنقع.

هوغو: لا يحدث ذلك إذا كان في استطاعتي الحيلولة دونه...

هودرر: ليس في استطاعتك أن تحول دون أي شيء. لا تتشنّج يا صغيري. قصارى ما في الأمر أنه يجب الا تبلغ الأمور هذا المبلغ. إن أربعة رجال يعيشون معًا، إما أن يتحابوا، وإما أن يتقاتلوا. وارضاءً لي، لا بدّ من أن تتحابوا.

جورج (باحترام): لا يمكن للعواطف أن يُؤمر بها.

هودرر (بقوة) بل يؤمر بها. يؤمر بها في أثناء الوظيفة، بين أشخاص من حزب واحد.

جورج: لسنا من حزب واحد.

هودرر (لهوغو): ألست منا؟

هوغو: بلى.

هودرر: وإذن؟

سليك: قد نكون من حزب واحد، ولكننا لم ننتسب إليه لأسباب واحدة.

هودرر: إنما ينتسب إليه الناس دائمًا للسبب نفسه.

سليك: عفوًا! أما هو، فقد انتسب إليه ليعلّم الناس المساكين الاحترام الذي ينبغي لهم.

هودرر: عجبًا!

جورج: هذا ما قاله.

هوغو: وانتما، لم تنتسبا إلى الحزب الا لتكفيا فيه جوعكما. هذا ما قلتماه.

هودرر: ولكني أراكم متفقين.

سليك: عفوًا؟

هودرر: ألم تروِ لي سليك انه كان يخجلك أن تكون جائعًا؟ (ينحني نحو سليك ويترقب جوابًا لا يأتي) وأن ذلك كان يثير غضبك كله لأنك لم تكن تستطيع التفكير بأي شيء آخر؟ وان فتى في العشرين من عمره يستطيع أن يفعل خيرًا من أن يشغل نفسه طوال الوقت بمعدته؟

سليك: ما كانت بك حاجة إلى أن تتحدث عن ذلك أمامه.

هودرر: ألم تَرْوِه لي؟

سليك: وماذا يثبت ذلك؟

هودرر: هذا يثبت أنك كنت تريد طعامك وشيئًا صغيرًا آخر بالإضافة إليه. أمّا هو فيسمّي هذا احترام النفس. فدعه يقول. إنه بوسع كل امرئ أن يستعمل الكلمات التي يريد.

سليك: لم يكن ذلك احترامًا، وإنه ليسوءني أن يسمى ذلك احترامًا. انه يستعمل الكلمات التي يجدها في رأسه؛ انه يفكر كل شيء برأسه.

هوغو: وبأي شيء تريدني أن أفكر؟

سليك: ان من ينسف رأسه، يا عنيدي، يكفّ عن التفكير به. صحيح اني كنت أريد أن ينقطع ذلك، يا إلهي، لفترة قصيرة، قصيرة جدًا، حتى استطيع الاهتمام بشيء آخر، بأي شيء آخر غير نفسي. ولكن لم يكن ذلك احترامًا لنفسي. انك لم تُصبْ يومًا بالجوع. ولقد اتيتنا لتعلّمنا الأخلاق، كتلك النساء

الزائرات اللواتي كن يصعدن إلى غرفة أمي، إذ تكون سكرى، ليقلن لها انها لم تكن تحترم نفسها.

هوغو: انك مخطئ.

جورج: هل أُصبت بالجوع أنت؟ أنا أحسب انك كنت بالاحرى محتاجًا إلى القيام ببعض التمرينات قبل الطعام طلبًا للاشتهاء.

هوغو: أنت على حق هذه المرة يا رفيقي الكبير. فشهوة الطعام، لم أكن أعرف ما هي. لو اتيح لك أن ترى ما كان يُقدم لي في طفولتي من الفوسفاتين، إذن لرأيت اني كنت أترك منه نصفه: وأي تبذير! وإذ ذاك، كانوا يفتحون فمي ويقولون لي: ملعقة من أجل البابا، ملعقة من أجل الماما، ملعقة من أجل العمة أنّا، وكانوا يُدخلون الملعقة حتى أعماق حلقي. ومع ذلك فقد كنت أنمو وأكبر، ولكني لم أكن أسمن. وإذ ذاك راحوا يسقوني دمًا طازجًا كانوا يجلبونه من المسلخة، لأني كنت ممتقع اللون؛ ومنذ ذلك الحين، باتت يدي لا تمسّ اللحم. وكان أبي يقول كل مساء: << هذا الصبي غير جائع... >> تصور ذلك، كل مساء: << كلّ، يا هوغو، كلْ، فإنك ستضعف ان لم تأكل >>. ولقد سقوني زيت كبد السمك، وكان ذلك غاية البذخ والترف: جرعةٌ << تثير جوعك >>، بينما يبيع الآخرون أنفسهم، في الشارع، من أجل شرحة لحم! لقد كنت أراهم يمرّون تحت نافذتي يحملون لوحات: << اعطونا خبزًا >>. وكنت أذهب لأجلس إلى المائدة. كلْ، يا هوغو، كلْ. ملعقة من أجل الحارس العاطل عن العمل، وملعقة من أجل العجوز التي تلتقط القشور من القمامة، وملعقة من أجل أسرة النجار الذي كسر ساقه. وغادرت المنزل. وانتسبت إلى الحزب، وكان ذلك لكي اسمع النغمة نفسها: << انك لم تُصَب بالجوع يومًا يا هوغو، فَلِمَ تتدخل في هذه الشؤون؟ ما عساك تفهم؟ إنك لم تُصَب يومًا بالجوع! >> أجل! لا لم أُصَب بالجوع أبدًا أبدًا! أبدًا! أبدًا! لعلّ بوسعك أنت أن تقول ما ينبغي لي أن أفعله حتى تكفّوا جميعًا عن اتهامكم إياي بذلك.

(هنيهة)

هودرر: انكما تسمعان. إذن أرشداه. قولا له ما ينبغي أن يفعله. ما الذي تطلبه منه يا سليك؟ أن يقطع احدى يديه؟ ان يفقأ احدى عينيه؟ أن يقدم لك زوجته؟ أيّ ثمن ينبغي له أن يدفعه حتى تغفرا له؟

سليك: ليس لي ما أغفره له.

هودرر: بلى! ان يكون قد انخرط في الحزب من غير أن يكون مسوقًا إليه بالبؤس.

جورج: نحن لا نأخذ عليه شيئًا. كل ما هناك أن بيننا عالمًا: إنه هو هاو دخل الحزب لأنه استحسن ذلك، لأنه أراد أن يقوم بعمل حسن. أما نحن، فما كنا نستطيع أن نفعل غير هذا.

هودرر: وهو، اتحسب أنه كان بامكانه أن يفعل غير هذا؟ ان جوع الآخرين ليس هو أيضًا أمرًا يسهل احتماله.

جورج: هناك كثيرون يتدبرون هذا الأمر على أيسر سبيل.

هودرر: ذلك انهم لا خيال عندهم. ومصيبة هذا الصغير ان عنده من الخيال أكثر مما ينبغي.

سليك: حسنًا. نحن لا نريد به شرًا. كل ما في الأمر اننا لا نطيقه. وأحسب اننا يحق لنا على الأقل...

هودرر: أي حق هذا؟ ليس لكما أي حق. << اننا لا نطيقه >>. اي قذرين انتما! اذهبا فانظرا إلى وجهيكما في المرآة، فستعودان لتظهرا بمظهر الرقة في العاطفة، ان كنتما تجرؤان أن الناس يحكم عليهم بالأعمال. وحذار أن احكم عليكما بعملكما، فإنكما تنحطان إلى درك سحيق في هذه الأوقات الأخيرة.

هوغو (صائحًا) أرجوك، لا تدافع عني! من ذا الذي يسألك أن تدافع عني؟ انك لترى انه لا مجال لعمل أي شيء، فانني معتاد. حين رأيتهما يدخلان منذ حين، عرفت بسمتها. لم يكونا جميلين. وبوسعك أن تصدّقني. لقد اتيا يطلبان أن أؤدي حساب أبي وجدي وجميع من كان في أسرتي يأكل حتى الشبع. أقول لك انني أعرفهم: انهم لن يقبلوني أبدًا؛ انهم آلاف كثيرة، أولئك الذين ينظرون بهذه البسمة. لقد صارعت وأذللت نفسي، وعملت كل ما بوسعي من أجل أن ينسوا، وردّدت على مسامعهم اني أحبهم وأني أغبطهم واني معجب بهم. ولكن عبثًا كنت أفعل وأقول! عبثًا! انني ابن غنيّ، مثقف، رجل لا يعيش من كسب يديه. حسنًا: ليفكروا كما يشاءون. انهم على حق، فالقضية قضية طبقة.

(سليك وجورج يتبادلان النظر صامتين)

هودرر (للحارسين): ما رأيكما إذن؟ (سليك وجورج يهزان كتفيهما علامة عدم اليقين) لن أجامله كما لا أجاملكما: فانتما تعلمان أني لا أجامل أحدًا. انه لن يعمل بيديه، ولكني سأجعله يرهق نفسه (متضايقًا) أوه، لننتهِ من ذلك!

سليك (عازمًا): حسنًا! (لهوغو) لا لكونك تروق لي يا صغيري فان بيننا ما لا يلتحم، مهما فعلنا. ولكني لا أقول أنك أنت الحصان الرديء؛ الصحيح اننا بدأنا بداءة سيئة. وسنحاول الا نجعل الحياة قاسية علينا. هل أنت موافق؟

هوغو (برخاوة): إذا شئتما.

سليك: أموافق أنت يا جورج؟

جورج: لنَسرْ هكذا. (هنيهة)

هودرر (بهدوء): تبقى قضية التفتيش.

سليك: نعم. التفتيش... اوه! الآن...

جورج: ما كنا نقول بشأنه، لم يكون الا على سبيل الكلام.

سليك: كانت القضية قضية القيام بالواجب.

هودرر (مغيرًا لهجته): من الذي يسألكما رأيكما؟ ستقومان بالتفتيش ان أمرتكما أن تقوما به (لهوغو؛ مستعيدًا صوته العادي) انني واثق بك يا صغيري، ولكن ينبغي أن تكون واقعيًا. فلئن قمتُ اليوم باستثناء من أجلك، فسيسألوني غدًا أن اقوم باستثنائين، ثم ينتهي الأمر بواحد من الناس إلى أن يقتلنا جميعًا، بسبب انهم اهملوا تقليب جيوبه. افرض انهما يسألانك – متأدبين – الآن وقد أصبحتم أصدقاء، فهل تدعهما يفتشان؟

هوغو: أخشى... أن لا.

هودرر: هكذا إذن (ينظر إليه) وإذا كنت أنا الذي يسألك ذلك؟ (هنيهة) فهمت الآن: إنّ لك مبادئك. ولكن أنا أيضًا أستطيع أن اجعل من القضية قضية مبادئ. غير أن المبادئ وأنا... (هنيهة) انظر إليّ. أليس معك سلاح؟

هوغو: لا.

هودرر: وكذلك امرأتك؟

هوغو: نعم، ليس معها سلاح.

هودرر: حسنًا. انني أثق بك. اذهبا، انتما الاثنين.

جسيكا: انتظرا (يلتفتان) انه لأمر سيئ يا هوغو الّا تقابل الثقة بالثقة.

هوغو: ماذا؟

جسيكا: بوسعكم أن تفتشوا حيث تريدون.

هوغو: ولكن يا جسيكا...

جسيكا: ماذا إذن؟ ستجعلهم يظنون أنك تخفي مسدسًا.

هوغو: أية مجنونة!

جسيكا: إذن دعهم يفتشون. إن كبرياءك لم تمس، ما دمنا نحن الذين نرجو منهم ذلك.

(يظل جورج وسليك مترددين على عتبة الباب)

هودرر: والآن، ماذا تنتظران؟ هل فهمتما؟

سليك: كنا نحسب...

هودرر: لا مجال لحسبان أي شيء، أفعلًا ما يُقال لكما.

سليك: حسنًا. حسنًا. حسنًا.

جورج: ما كان أغنانا عن جميع هذه القصص.

(بينما يأخذان في التفتيش، باسترخاء، لا ينقطع هوغو عن النظر إلى جسيكا بذعر)

هودرر (لسليك وجورج): وليكن في ذلك درسٌ لكما أن تثقا بالناس. أما أنا، فانني أثق بهم أبدًا. بجميع الناس. (يفتشان) ما أشدّ رخاوتكما! ينبغي أن تجدّا في التفتيش ما داما قد جدّا في اقتراحهما عليكما. انظر تحت الخزانة يا سليك. حسنًا. أخرج الثوب، وجُسَّه.

سليك: لقد سبق وقمنا بذلك.

هودرر: أَعِدْ. انظر أيضًا تحت الفراش. حسنًا. استمر يا سليك. وأنت يا جورج، تعال إلى هنا. (مشيرًا إلى هوغو) فتِّشه، وليس عليك إلا أن تجسّ جيوب سترته. هكذا. و<< بنطلونه >>؛ حسنًا. وجيب المسدس. حسنًا.

جسيكا: وأنا؟

هودرر: ما دمت تطلبين ذلك. جورج. (جورج لا يتحرك) ولكن، هل هي تُخيفك؟

جورج: اوه! كفى. (يتجه إلى جسيكا محمر الوجه فيلامسها باطراف أصابعه. جسيكا تضحك) **جسيكا**: إن له يديْ مُصوِّر.

(سليك يصل إلى قرب الحقيبة التي تحتوي المسدس)

سليك: هل الحقائب فارغة؟

هوغو (متوترًا) نعم.

(هودرر ينظر إليه بتنبه)

هودرر: وهذه أيضًا؟

هوغو: نعم (يرفعها سليك)

سليك: كلا.

هوغو: آه... لا، هذه ليست فارغة. كنت أهمّ بافراغها حين دخلتم.

هودرر: إفتحها (سليك يفتحها ويفتش)

سليك: لا شيء.

هودرر: حسنًا. انتهينا. اخرجا.

سليك: (لهوغو): من غير ضغينة.

جسيكا (بينما هما يخرجان): سأقوم ذات ساعة بزيارتكما في رواقكما.

المشهد الرابع

جيسكا، هودرر، هوغو

هودرر: لو كنت مكانك، ما ترددت عليهما كثيرًا.

جسيكا: اوه! لماذا؟ إنهما على غاية اللطف، ولا سيما جورج: إنه أشبه بالفتاة.

هودرر: هِمْ (يتجه نحوها) أنت جميلة، هذا أمرٌ واقع. ولا يفيد شيئًا أن يؤسف لذلك. ولكن، ليس هناك، في وضع كهذا، إلّا حلّان. الأول: هو أن تُسعدينا جميعًا، إن كان لك قلب واسع بما فيه الكفاية.

جسيكا: إن قلبي صغيرٌ جدًا.

هودرر: كنت أتوقع ذلك. على أن ذلك لن يمنعهم من أن يقتتلوا. ويبقى الحلّ الثاني: حين يخرج زوجك، فينبغي أن تحجزي على نفسك ولا تفتحي لأحد، حتى ولا لي.

جسيكا: نعم. حسنًا، ولكني، إذا سمحت، سأختار الحلّ الثالث.

هودرر: كما تشائين (ينحني فوقها ويتنشق بعمق) ان لك عبيرًا ذكيًا. لا تتعطري بهذا العطر حين تذهبين لرؤيتهما.

جسيكا: لم اتعطر بأي عطر.

هودرر: فليكن! (ينتقل ويسير متمهلًا حتى وسط الغرفة ثم يقف. وفي أثناء المشهد كله، تبحث عيناه في كل مكان. انه يفتش عن شيء. وبين لحظة وأخرى، يقف نظره عند هوغو ويتفحصه) حسنًا. ها نحن أولاء. (هنيهة) ها نحن أولاء. (هنيهة) ستأتي إلى مكتبي يا هوغو في الساعة العاشرة من صباح الغد.

هوغو: أعرف ذلك.

هودرر: (بشرود، بينما نظره يبحث في كل مكان) حسنًا، حسنًا، حسنًا. ها نحن أولاء. كل شيء على ما يرام. حسنٌ ما ينتهي حسنًا. إن لكما لهيئتين غريبتين حقًا يا ولديّ. كل شيء حسن والجميع قد تصالحوا، والجميع متحابون... (فجأة) انك متعب يا صغيري.

هوغو: ليس هذا بذي بال. (هودرر ينظر إليه بتنبه. يتكلم هوغو جاهدًا، وهو منزعج) انني اعتذر... عن الحادث الذي حدث منذ حين...

هودرر: (من غير أن يكف عن النظر إليه) لست لأفكر فيه بعد.

هوغو: في المستقبل تتفضل حضرتك...

هودرر: قلت لك ان كلمني من غير كلفة.

هوغو: في المستقبل لن أتيح لك أن تشكو شيئًا، فسوف اراعي النظام.

هودرر: سبق لك أن رويت لي ذلك. هل أنت واثق من انك لست مريضًا؟ (هوغو لا يجيب) لئن كنت مريضًا، فلم تَفُتْ الفرصة بعد لتصارحني، فأطلب إلى اللجنة أن ترسل لي من يحلّ محلك.

هوغو: لست مريضًا.

هودرر: حسنًا. إذن فاني مغادركما. فأنا أحسب ان بودكما أن تظلّا وحدكما. (يتجه نحو الطاولة وينظر إلى المكتب) هيغل، ماركس، حسنًا جدًا. لوركا، اليوت: لا أعرفهما (يقلب صفحات الكتب) **هوغو**: انهما شاعران.

هودرر: (متناولًا كتبًا أخرى) شعر... شعر... شعر كثير. هل تنظم قصائد؟

هودرر: أقصد أنك قد نظمت بعض قصائد. (يبتعد عن الطاولة ويقف بالقرب من السرير) << روب دي شامبر >>، انك تُعنى جيدًا بملبسك. هل جلبته معك يوم غادرت بيت أبيك؟

هوغو: نعم.

هودرر: والبذلتان أيضًا، كما أظن. (يقدم له سيكارة)

هوغو: (رافضًا): شكرًا.

هودرر: الا تدخّن؟ (حركة نفي من هوغو) حسنًا. لقد ابلغتني اللجنة أنك لم تشارك قبل الآن بعملٍ مباشر. هل هذا صحيح؟

هوغو: صحيح.

هودرر: لا شك في أنك تتأكل. ان جميع المثقفين يحلمون بأن يقوموا بـ << عمل >>.

هوغو: كان أمر الجريدة موكولًا إلي.

هودرر: هذا ما قيل لي. مرّ شهران من غير أن تصلني. هل أنت الذي كنت تُصدر الاعداد التي سبقت؟

هوغو: نعم.

هودرر: كان ذلك جهدًا شريفًا. وها هم يحرمون أنفسهم محررًا مخلصًا مثلك ليرسلوه إليّ.

هوغو: لقد فكروا أني جديرٌ بأن أخدمك.

هودرر: انهم على غاية اللطف. وأنت؟ هل سرك أن تترك عملك؟

هوغو: انني...

هودرر: الجريدة، كانت لك، كانت هناك مخاطر وتبعات بل يمكن اعتبار ذلك عملًا مباشرًا (ينظر إليه) وها أنت ذا الآن سكرتير. (هنيهة) لماذا تركتها؟ لماذا؟

هوغو: بدافع النظام.

هودرر: لا تتكلم دائمًا عن النظام. انني احذر الأشخاص الذين ليس في فمهم غير هذه الكلمة.

هوغو: اني بحاجة إلى النظام.

هودرر: لماذا؟

هوغو: (بتعب وضجر) ان في رأسي لأفكارًا كثيرة، أكثر مما ينبغي. ويجب أن أطردها.

هودرر: أي لون من الأفكار؟

هوغو: ماذا أفعل هنا؟ هل أنا على حق في أن أريد ما أريد؟ ألست أمثّل؟ أشياء من هذا القبيل.

هودرر (على مهل): نعم أشياء من هذا القبيل. ان رأسك إذن ممتلئ الآن بها؟

هوغو: (منزعجًا) لا، لا، ليس في هذه اللحظة. (هنيهة) ولكنها قد تعود. يجب أن أدافع عن نفسي، أن أقيم في رأسي أفكارًا أخرى. أوامر: << افعل هذا. سرْ. قف. قلْ هذا. >> اني بحاجة إلى أن أطيع. أطيع، وهذا كل شيء. آكل وأنام وأطيع.

هودرر: حسنًا. ان اطعت، فبوسعنا أن نتفاهم. (يضع يده على كتفه) اسمع... (هوغو يتحلل ويقفز إلى الخلف. ينظر إليه هودرر باهتمام متزايد يصبح صوته قاسيًا وحاسمًا) هكذا إذن؟ (هنيهة) ها! ها!

هوغو: انني... انني لا أحبّ أن يمسّني أحد.

هودرر (بصوت قاس سريع): حين فتشوا في هذه الحقيبة، بدا عليك الخوف، فلماذا؟

هوغو: لم أخفْ.

هودرر: بلى. خفت. ما الذي كانت تحتويه؟

هوغو: لقد فتشوا، ولم يكن فيها شيء.

هودرر: لا شيء؟ هذا ما سنراه. (يتجه إلى الحقيبة ويفتحها) كانوا يبحثون عن سلاح. قد يُخبّأ سلاحٌ في حقيبة، ولكن قد تُخبّأ فيها أيضًا أوراق.

هوغو: أو أشياء خاصّة جدًا.

هودرر: ينبغي أن تدرك جيدًا انه لم يبق لك شيء، منذ اللحظة التي وضعت فيها نفسك تحت أوامري (يفتش) قمصان وسراويل، كلها جديدة. أتكون غنيًا؟

هوغو: زوجتي هي الغنية.

هودرر: ما هذه الصور؟ (يتناولها وينظر إليها. صمت) هذه اذن! (ينظر إلى صورة) ثوب من مخمل... (ينظر إلى صورة أخرى) ياقة بحرية كبيرة مع طاقية. أي سيّد صغير!

هوغو: أعِدْ لي هذه الصور.

هودرر: سشت! (يدفعه عنه) هذه هي اذن الأشياء الخاصة جدًا. لقد كنت تخشى أن يجداها.

هوغو: لو وضعا عليها ايديهما الوسخة، ولو ضحكا وهما ينظران إليها، إذن...

هودرر: لقد انجلى السرّ إذن: هو ذا ما يعنيه أن يحمل المرء جريمته على وجهه: كدت أقسم، اذ رأيتك في تلك الحالة، انك تخفي على الأقل قنبلة

(ينظر إلى الصور) لا اراك قد تغيّرت. هاتان الساقان الصغيرتان الهزيلتان... طبعًا لم تكن لك شهوة إلى الطعام، وكنت قصيرًا جدًا حتى انهم أوقفوك على كرسي، فشبكت ذراعيك وجعلت تقيس عالمك بنظرك، كنابليون. ولم تكن على مظهر مرح. كلا... لا بدّ انه ليس يسيرًا على إنسان أن يكون كل يوم ابنًا لأغنياء. انها بداءة سيئة في الحياة. لماذا تراك تجرجر ماضيك في هذه الحقيبة ما دمت تريد أن تدفنه؟ (حركة مبهمة من هوغو) مهما يكن من أمر، فإنك شديد الانشغال بنفسك.

هوغو: انما انضممت إلى الحزب لأنسى نفسي.

هودرر: وتذكر كل دقيقة أن عليك أن تنسى نفسك. على أي حال! ان كل إنسان يتدبّر أمره كما يستطيع. (يرد له الصور) خبّئها جيدًا. (يأخذها هوغو ويضعها في الجيب الداخلي من سترته) إلى الغد، يا هوغو.

هوغو: إلى الغد.

هودرر: مساء الخير يا جسيكا.

جسيكا: مساء الخير.

(حين يبلغ هودرر عتبة الباب ينفتل)

هودرر: اغلقا المصاريع وأحكما الأقفال. فلا أحد يدري ان كان هناك من يجوس في الحديقة. إن هذا أمر (يخرج) المشهد الخامس

هوغو، جسيكا

(هوغو يتجه إلى الباب ويفتل المفتاح مرتين)

جسيكا: صحيح انه مبتذل، ولكنه لا يضع ربطة منقّطة.

هوغو: أين المسدس؟

جسيكا: ما أشدّ ما تسلّيت، يا نحلتي الصغيرة! انها المرة الأولى التي اراك فيها تتنازع مع رجال حقيقيين.

هوغو: أين هذا المسدس يا جسيكا؟

جسيكا: انك لا تعرف يا هوغو أصول هذه اللعبة: والنافذة؟ قد يرانا أحد من الخارج.

(يتجه هوغو فيغلق النافذة ويعود إليها)

هوغو: إذن؟

جسيكا (تسحب المسدس من صدرها) فيما يتعلق بالتفتيش، يُحسن هودرر صنعًا في أن يوظّف أيضًا امرأة. وسأعرض نفسي لهذه المهمة.

هوغو: متى اخذتِه؟

جسيكا: حين ذهبت تفتح للكلبين الحارسين.

هوغو: لقد سخرت بنا جيدًا. لقد حسبتُ انه أوقعك في شَرَكه.

جسيكا: أنا؟ لم يبق لي إلا أن أضحك عليه: << انني أثق بك. انني أثق بالناس جميعًا... ليكن لكم في ذلك درسٌ بأن تثقوا ... >> من عساه يظن نفسه؟ ان الثقة لعبة ينخدع بها الرجال!

هوغو: ليت هذا فحسب!

جسيكا: هل لك أن تسكت يا نحلتي الصغيرة؟ لقد كنت انت منفعلًا.

هوغو: أنا؟ متى؟

جسيكا: حين قال لك أنه يثق بك.

هوغو: لا، لم أكن منفعلًا.

جسيكا: بلى.

هوغو: كلا.

جسيكا: مهما يكن من أمر: إذا تركتني يومًا مع فتى جميل، لا تقل لي انك تثق بي، لأني أخطِرك: ليس هذا هو الذي يمنعني من أن أخدعك، إذا كنت راغبة في خداعك، بل بالعكس.

هوغو: انني شديد الاطمئنان. انني امضي مُغلق العينين.

جسيكا: أتظنّ اني أؤخذ بالعواطف؟

هوغو: لا، يا تمثالي الثلجي الصغير، انني أؤمن ببرودة الثلج. وان أشدّ المُغْوين التهابًا تتجمّد فيه أصابعه، إنه يُلامسك ليدفئك قليلًا، وسرعان ما تذوبين بين ذراعيه.

جسيكا: أية أبله أنت! انني لا أمزح بعد (صمت قصير جدًا) هل خفتِ كثيرًا؟

هوغو: منذ لحظة؟ كلا. لم أكن أصدّقهم. كنت أنظر إليهم يفتشون فأقول: << اننا نمثّل>>، ولا شيء يبدو لي أبدًا حقيقيًا برمّته!

جسيكا: حتى ولا أنا؟

هوغو: أنت (ينظر إليها لحظة ثم يصرف رأسه) قولي، لقد خفت أنت أيضًا؟

جسيكا: حين فهمت انهم سيفتشونني، ادركت أن القضية أصبحت تتأرجح بيد القدر. وكنت على يقين من أن جورج سيمسّني أو يكاد، أما سليك فقد كان خليقًا به أن يشدّني إليه. وما كنت أخشى أن يعثر على المسدس، ولكني كنت أخشى يديه.

هوغو: ما كان ينبغي لي أن أدخلك في هذه القضية.

جسيكا: بالعكس، لقد كنت أحلم دائمًا بأن أكون مغامرة.

هوغو: ليست هذه لعبة يا جسيكا. ان هذا الشخص خطر.

جسيكا: خطر؟ على مَنْ؟

هوغو: على الحزب.

جسيكا: على الحزب؟ كنت أحسب أنه رئيسه.

هوغو: انه << أحد >> رؤسائه. ولكن من أجل هذا بالذات، هو...

جسيكا: لا تشرح لي شيئًا. انني أصدّق ما تقوله.

هوغو: ماذا تصدّقين؟

جسيكا (متمهلة كأنها تقرأ): أصدّق أن هذا الرجل خطر، وانه يجب أن يزول، وانك قد أتيت لتقــ ...

هوغو: شْست (هنيهة) انظري إليّ. انني أحدث نفسي بانك تمثلين تصديقي وانك لا تصدقينني حقًا، وأحيانًا أخرى بانك تصدقينني في الحق ولكنك تصطنعين انك لا تصدقينني. فأيهما الصحيح؟

جسيكا: (ضاحكة): ليس من شيء صحيح.

هوغو: ما عساك تفعلين ان كنت بحاجة إلى معونتك؟

جسيكا: ألم أُعِنْكَ الساعة؟

هوغو: بلى يا روحي، ولكن ليست هذه هي المعونة التي أريدها.

جسيكا: يا لك من ناكر للجميل!

هوغو (ناظرًا إليها): ليتني استطيع ان اقرأ أفكارك...

جسيكا: سلني.

هوغو: (هازًا كتفيه) أيًا ما كان! (هنيهة) إن من يسعى إلى قتل رجل يشعر بأنه ثقيل كحجر. لا بدّ انَّ في رأسي صمتًا (صائحًا) صمت! (هنيهة) هل رأيت كم هو كثيف؟ كم هو حيّ؟ (هنيهة) صحيح! صحيح! صحيحٌ اني سأقتله: سيكون بعد أسبوع ملقىً على الأرض ميتًا وفي جسمه خمسة ثقوب. (هنيهة) أية مهزلة!

جسيكا (تأخذ في الضحك) يا نحلتي الصغيرة المسكينة. إذا كنت تريد أن تقنعني بأنك ستصبح قاتلًا، فينبغي أن تبدأ باقناع نفسك أولًا.

هوغو: الا يبدو عليّ اني مقتنع؟

جسيكا: على الاطلاق: انك تسيء تمثيل دورك.

هوغو: ولكني لا أمثل يا جسيكا.

جسيكا: بلى، أنت تمثل.

هوغو: كلا، بل أنت، دائمًا أنت.

جسيكا: كلا، بل أنت. ولكن مع ذلك كيف تستطيع أن تقتله؟ فإن المسدس معي أنا.

هوغو: رُدّي لي هذا المسدس.

جسيكا: أبدًا: لقد ربحته. ولولاي، لكانوا أخذوه منك.

هوغو: أعيدي لي هذا المسدس.

جسيكا: لا، لن أعيده لك، بل سأمضي إلى لقاء هودرر، وسأقول له >> انني قادمة لاسعادك << وبينما هو يقبّلني...

(يبدو على هوغو انه مستسلم، ولكنه سرعان ما يرتمي عليها. الدور نفسه الذي كان في المشهد الأول؛ يسقطان على السرير فيصطرعان ويصرخان ويضحكان وينتهي الأمر بهوغو إلى أن ينتزع منها المسدس بينا يسدل الستار وهي تصيح: حذار! حذار! ان المسدس يوشك أن ينطلق!

الفصل الرابع

مكتب هودرر

(حجرة صارمة ولكنها مريحة. إلى اليمين، مكتب؛ في الوسط، طاولة محملة بكتب وأوراق، وعليها سجادة تتدلى حتى الأرض. إلى اليسار نافذة ترى عبرها أشجار الحديقة. في الداخل، يمينًا، يقوم باب على يساره طاولة مطبخ

تحمل موقدًا يشتعل على الغاز. على الموقد ابريق للقهوة. كراسي متناثرة. الوقت بعد الظهر.

هوغو وحده، يقترب من المكتبة ويمد يده إلى ريشة هودرر فيمسها. ثم يتجه إلى الموقد، فيأخذ ابريق القهوة وينظر إليه وهو يصفر. تدخل جسيكا على مهل.) المشهد الأول

جسيكا وهوغو

جسيكا: ماذا تصنع بابريق القهوة هذا؟ (يضع هوغو ابريق القهوة بسرعة).

هوغو: لقد منعوك يا جسيكا أن تدخلي هذا المكتب.

جسيكا: ما كنت تصنع بابريق القهوة؟

هوغو: وأنت ماذا أتيت تعملين هنا؟

جسيكا: جئت اراك يا روحي.

هوغو: حسنًا، وها أنت قد رأيتني. اذهبي سريعًا، إن هودرر اوشك أن ينزل.

جسيكا: كم أستشعر الضيق من غيابك يا نحلتي!

هوغو: لا وقت عندي للعب يا جسيكا.

جسيكا: (ناظرة حولها) لا شكٌ انك لم تحسن وصف شيء لي أبدًا. إن في القاعة رائحة تبغ بارد، كما كان الشأن في مكتب أبي إذ كنت صغيرة. ومع ذلك، فإن من اليسير التحدث عن رائحة.

هوغو: استمعي لي جيدًا...

جسيكا: انتظر (تبحث في جيب ثوبها) لقد أتيت أحمل لك هذا.

هوغو: ما هذا؟

جسيكا: (مخرجة المسدس من جيبها ومقدمة إياه لهوغو على راحة يدها) هذا! لقد نسيته.

هوغو: لم أنسَه. فأنا لا أحمله أبدًا.

جسيكا: من أجل هذا بالذات أتيت به إليك: فينبغي الا يفارقك مسدسك أبدًا.

هوغو: يبدو يا جسيكا انك لا تفهمين؛ لذلك أقول لك بكل صراحة اني أمنعك من أن تضعي قدميك هنا مرة ثانية. إذا كنت تريدين اللعب، فان أمامك الحديقة والمنزل.

جسيكا: انك تكلمني يا هوغو كما لو اني في السادسة من عمري.

هوغو: ومن هو المخطئ في ذلك؟ لقد غدا الأمر غير محتمل، وأنت لا تستطيعين أن تنظري إليّ بعدُ من غير أن تضحكي. ولا بدّ أن يكون هذا جميلًا يوم نبلغ الخمسين. ينبغي أن ننتهي من ذلك؛ انها ليست إلا عادة، عادة سخيفة تعوّدناها معًا. هل تراك تفهمينني؟

جسيكا: اني أفهمك جيدًا.

هوغو: وتريدين أن تبذلي جهدًا من أجل ذلك؟

جسيكا: نعم.

هوغو: حسنًا. ابدئي إذن بإعادة هذا المسدس إلى المنزل.

جسيكا: لا استطيع.

هوغو: جسيكا.

جسيكا: انه لك، وعليك أنت أن تأخذه.

هوغو: ولكن ما دمت أقول لك انني لا حاجة لي به...

جسيكا: وأنا، ماذا تريد أن أصنع به؟

هوغو: ما تشائين. إن هذا ليس من شأني.

جسيكا: احسبك لا تريد من امرأتك أن تحمل طوال النهار في جيبها سلاحًا ناريًا؟

هوغو: عودي إلى المنزل وضَعيه في حقيبتي.

جسيكا: ولكن ليست لي رغبة في العودة للمنزل؛ انك حقًا لمزعج!

هوغو: كان عليك ان لا تأتي به.

جسيكا: وانت كان عليك ان لا تنساه.

هوغو: قلت لك اني لم أنسه.

جسيكا: لم تنسه؟ ان ذلك يعني يا هوغو انك غيّرت مشاريعك.

هوغو: صه!

جسيكا: هوغو، انظر في عيني. هل غيّرت مشاريعك، نعم أم لا؟

هوغو: لا، لم أغيّرها.

جسيكا: قلْ نعم أم لا: هل تنوي...

هوغو: نعم! نعم! نعم! ولكن ليس اليوم.

جسيكا: اوه يا هوغو، يا عزيزي الصغير، لِمَ لا يكون اليوم؟ انني شديدة الضجر. لقد فرغت من قراءة جميع الروايات التي اعطيتني إياها، وليس عندي ميلٌ لأن أبقى طوال النهار على سريري كالوصيفة، ان هذا يسمِّنني. فماذا تنتظر؟

هوغو: انك لا تزالين تمثلين يا جسيكا.

جسيكا: بل أنت الذي تمثل. منذ عشرة ايام وأنت تبدو بمظهر الرصانة لتؤثر عليّ، والنتيجة ان الآخر ما زال حيًا. فإن كان هذا تمثيلًا، فقد طال أكثر مما ينبغي: لقد بتنا لا نتكلم إلا بصوت منخفض، خشية أن نُسمع؛ ويجب أن أتحمّل جميع تقلبّات مزاجك كما لو انك كنت امرأة حبلى.

هوغو: أنت تعلمين جيدًا ان هذا ليس من التمثيل في شيء.

جسيكا (بجفاء) إنه إذن شرّ من التمثيل: إني أكره أشد الكره الّا يفعل الناس ما عزموا على فعله. إذا شئت أن أصدقك، فيجب أن تنفض يدك منه اليوم بالذات.

هوغو: هذا اليوم هو غير مناسب.

جسيكا: (مستعيدة لهجتها العادية) أترى؟

هوغو: آه! إنك لتفرطين في ازعاجي. إنه ينتظر زيارات!

جسيكا: كم شخصًا؟

هوغو: اثنان.

جسيكا: اقتلهما أيضًا!

هوغو: ليس هناك ما هو أزعج من أن يصرّ انسانٌ على المزاح، بينما لا يرغب الآخرون في ذلك. إنني لا أسألك ان تساعديني، كلا... ان قصارى ما أريده الّا تزعجيني!

جسيكا: حسنًا! حسنًا! افعل ما تشاء، ما دمت تحرص على أن أظلّ خارج حياتك. ولكن خذ هذا المسدس، لأني إذا احتفظت به، فإنه سيشوّه جيوبي.

هوغو: إذا أخذته، فهل تذهبين؟

جسيكا: خذه أولًا.

(يأخذ هوغو المسدس ويضعه في جيبه)

هوغو: والآن، اذهبي بسرعة.

جسيكا: دقيقة! ان لي الحق مع ذلك ان القي نظرة على المكتب الذي يشتغل فيه زوجي. (تمر من خلف مكتب هودرر. مشيرة إليه:) مَنْ يجلس هنا؟ هو أم أنت؟

هوغو (على مضض) هو. أما أنا، فأعمل على هذا الطاولة. (مشيراً إلى الطاولة) **جسيكا** (من غير أن تستمع إليه): أهذا خطّه؟ (تتناول ورقة من على المكتب) **هوغو**: نعم.

جسيكا (باهتمام ظاهر): ها! ها! ها!

هوغو: دعي هذا في مكانه.

جسيكا: هل رأيت خطّه كيف يُصعِّد؟ وكيف يخطّ الاحرف من غير أن يَصِلَها؟

هوغو: وبعد ذلك؟

جسيكا: كيف بعد ذلك؟ إن هذا هامٌّ جدًّا.

هوغو: لمن؟

جسيكا: عجبًا! لمعرفة طبعه! فلا أقلّ من أن يعرف الإنسان مَن يقتل. وهذا الفراغ الذي يتركه بين الكلمات؟ لكأنّ كل حرف جزيرةٌ صغيرة؛ أما الكلمات فكلْ منها أرخبيل. ولا شك في ان ذلك يعني شيئًا ما.

هوغو: ماذا يعني؟

جسيكا: لا أدري. كم ان هذا مزعج: ذكريات طفولته، النساء اللواتي امتلكهن، طريقته في الحب، كلّ هذا موجود هنا، ولا اعرف ان أقرأه... ينبغي لك يا هوغو أن تشتري لي كتابًا من كتب معرفة الطباع من الخطّ، فأنا أحسّ اني موهوبة في ذلك.

هوغو: سأشتري لك كتابًا إذا ذهبت الآن على الفور.

جسيكا: كأن هذا كرسي بيانو.

هوغو: هو كذلك.

جسيكا (تجلس على الكرسي وتستدير به) ما ألذّ هذا! انه إذن يجلس، ويدخن، ويتكلم، ويستدير على كرسيه.

هوغو: هو ذلك.

(جسيكا تفتح قنينة صغيرة موضوعة على المكتب وتشمها)

جسيكا: هل هو يشرب؟

هوغو: كأنه ثقب.

جسيكا: بينما هو يعمل؟

هوغو: نعم.

جسيكا: وهو لا يثمل أبدًا؟

هوغو: أبدًا.

جسيكا: آمل انك لا تشرب الكحول، حتى ولو دعاك إلى الشرب: انك لا تتحملها.

هوغو: لا تمثلي دور الأخت الكبرى؛ فانا اعلم جيدًا أني لا اتحمل الكحول ولا التبغ ولا الحرارة ولا البرودة ولا الرطوبة ولا رائحة التبن ولا شيئًا على الاطلاق.

جسيكا (بهدوء) انه هنا، يتكلم، ويدخن، ويشرب، ويستدير على كرسيه ...

هوغو: نعم وأنا...

جسيكا (وقد رأت الموقد): ما هذا؟ هل يطهو طعامًا هو بنفسه؟

هوغو: أجل.

جسيكا (منفجرة بالضحك): ولكن لماذا؟ ان بوسعي أن اطبخ له أنا، ما دمت اطبخ لك؛ ان بوسعه أن يأتي فيأكل معنا.

هوغو: أنت لا تحسنين الطبخ مثلما يُحسنه؛ وأظنّ بعدُ ان ذلك يسلّيه. وهو في الصباح يُعدُّ لنا القهوة، قهوة ممتازة من السوق السوداء.

جسيكا (مشيرة إلى ابريق القهوة): في هذا؟

هوغو: نعم.

جسيكا: إنه ابريق القهوة الذي كان بين يديك حين دخلت؟

هوغو: نعم.

جسيكا: لماذا أخذته؟ عمّ كنت تبحث فيه؟

هوغو: لا أدري (هنيهة) انه يبدو حقيقيًا حين يمسه (يأخذه) كلُّ ما يمسُّه يبدو حقيقيًا. انه يصب القهوة في الفناجين، فأحتسي، وأنظر إليه يحتسي، فأشعر بان مذاق القهوة الحقيقي إنما هو في فمه هو (هنيهة) ان المذاق الحقيقي للقهوة هو الذي سيزول، الحرارة الحقيقية، النور الحقيقي. ولن يبقى غير هذا (يشير إلى ابريق القهوة) **جسيكا**: أي شيء، هذا؟

هوغو: (مشيرًا إلى الغرفة كلها بحركة عريضة) هذا: أوهام.

(يضع ابريق القهوة) انني اعيش في ديكور. (يستغرق في أفكاره)

جسيكا: هوغو!

هوغو: (منتفضًا) ماذا!

جسيكا: ان رائحة التبغ تمّحي حين يصبح مينًا (فجأة) لا تقتله!

هوغو: اتؤمنين باني سأقتله؟ اجيبي؟ اتؤمنين بذلك؟

جسيكا: لا أدري. إن كل شيء يبدو هادئًا جدًا. ثم إنّ فيه ريح طفولتي... لن يحدث شيء، ولا يمكن أن يحدث شيء. انما انت تهزأ مني.

هوغو: هو ذا. فرّي من النافذة. (يحاول أن يجرها)

جسيكا: (مقاومة إياه) أودّ أن أرى كيف تكونان حين تكونان وحدكما.

هوغو (جارًا إياها): تعالي بسرعة.

جسيكا: (بسرعة) في منزل أبي، كنت أختبئ تحت الطاولة، فانظر إليه وهو يعمل لساعات طويلة.

(يفتح هوغو النافذة بيده اليسرى، فتفلت منه جسيكا وتختفي تحت الطاولة. يدخل هودرر)

المشهد الثاني

الشخصان نفسهما وهودرر

هودرر: ماذا تفعلين تحت الطاولة؟

جسيكا: أختبئ.

هودرر: لماذا؟

جسيكا: لأرى كيف تكونان حين لا أكون هنا.

هودرر: لقد فاتك ذلك. (لهوغو) من الذي تركها تدخل؟

هوغو: لا أدري.

هودرر: انها زوجتك: فأمسكها خيرًا من ذلك.

جسيكا: يا نحلتي الصغيرة، انه يعتبرك زوجي.

هودرر: أليس هو زوجك؟

جسيكا: انه أخي الصغير.

هودرر (لهوغو): انها لا تحترمك.

هوغو: لا.

هودرر: لماذا تزوجتها؟

هوغو: لأنها لم تكن تحترمني. إن من يدخل الحزب، يتزوج من الحزب.

جسيكا: لماذا؟

هودرر: هذا أسهل.

جسيكا: ما يدريك اني لست من الحزب؟

هودرر: هذا ظاهر (ينظر إليها) انك لا تحسنين عمل شيء، إلا الحب ...

جسيكا: حتى ولا الحب. (هنيهة) هل تظنّ ان عليّ أن أسجل اسمي في الحزب؟

هودرر: بوسعك أن تعملي ما تشائين فأنت ميئوس منك.

جسيكا: أهي غلطتي؟

هودرر: ما يدريني؟ افترض انك نصف ضحية ونصف شريكة في الجريمة، كجميع الناس.

جسيكا (بعنف مفاجئ): انني لم أشارك أحدًا في الجريمة. لقد قرروا مصيري من غير أن يسألوني رأيي.

هودرر: هذا ممكن جدًا. ومهما يكن، فإن قضية تحرير المرأة لا تستهويني.

جسيكا (مشيرة إلى هوغو): هل تظنّ اني أسيء إليه؟

هودرر: اتراك أتيت إلى هنا لتسأليني هذا السؤال؟

جسيكا: ولِمَ لا؟

هودرر: أظنُّ أنكِ تَرَفُه. ان أبناء البورجوازيين الذين ينضمون إلينا مصابون جميعًا بأن يجلبوا معهم قليلًا من ترفهم الماضي، على سبيل الذكرى. بعضهم يجلب حرية التفكير وبعضهم دبوس ربطة العنق. أما هو، فقد جلب معه زوجته.

جسيكا: نعم، وأنت لا حاجة بك طبعًا إلى الترَف.

هودرر: بالطبع لا. (يتبادلان النظر) هيّا، اغربي، ولا تضعي قدميك بعدُ هنا.

جسيكا: حسنًا. انني أدعكما لصداقتكما كرجلين (تخرج بوقار)

المشهد الثالث

هوغو، هودرر

هودرر: هل أنت تحرص عليها؟

هوغو: طبعًا.

هودرر: امنعها إذن من أن تضع قدميها هنا مرة أخرى. حين أخيّر بين صديق وامرأة مغرية، فانما اختار الصديق، ولكن ينبغي مع ذلك الا يجعلوا المهمة شاقة عليّ أكثر مما ينبغي.

هوغو: ومن الذي يسألك أن تختار؟

هودرر: لا أهمية لذلك على الاطلاق: إنما اخترتك أنت على أي حال.

هوغو (ضاحكًا) انك لا تعرف جسيكا.

هودرر: ربما كان هذا صحيحًا. وهذا لا شك أفضل. (هنيهة) قل لها مع ذلك الا تعود. (فجأة) ما الساعة الآن؟

هوغو: الرابعة وعشر دقائق.

هودرر: لقد تأخرا (يتجه إلى النافذة فيلقي نظرة إلى خارج ثم يعود)

هوغو: أليس عندك ما تمليه عليّ؟

هودرر: ليس اليوم (بعد حركة من هوغو) لا، ابق. تقول انها الرابعة وعشر؟

هوغو: نعم.

هودرر: إذا لم يأتيا، فسيندمان.

هوغو: من الذي سيأتي؟

هودرر: سترى. شخصان يمتَّان إلى عالمك. (يخطو بضع خطى) انني لا أحب الانتظار. (عائدًا إلى هوغو) وإذا اتيا، فإن القضية في الجيب؛ ولكن إذا انتابهما الخوف في اللحظة الأخيرة، فينبغي ان نعيد كل شيء منذ البدء. واعتقد اني لن أملك الوقت لذلك. ما هو عمرك؟

هوغو: واحد وعشرون عامًا.

هودرر: انك تملك الوقت، أنت.

هوغو: وأنت أيضًا، لست شيخًا إلى هذا الحد.

هودرر: لست شيخًا ولكني مستهدف. (يريه الحديقة) ان خلف هذه الجدران أشخاصًا يفكرون بقتلي ليل نهار. ولما كنت انا لا افكر طوال الوقت بحراسة نفسي، فلا شك ان الأمر سينتهي بهم الى الانتصار عليّ.

هوغو: ما أدراك انهم يفكرون بذلك ليل نهار؟

هودرر: ذلك اني أعرفهم. وهم مصرون على أفكارهم.

هوغو: هل تعرفهم؟

هودرر: نعم. هل سمعت صوت محرّك؟

هوغو: لا (يصغيان) كلا.

هودرر: بذلك يتاح لأحدٍ هؤلاء الأشخاص أن يقفز من فوق الجدار فتتيح له الفرصة أن يؤدي عملًا جميلًا.

هوغو: بذلك يتاح لأحد هؤلاء...

هودرر (ناظرًا إليه) أتفهم؟ سيكون خيرًا لهم الا استطيع استقبال هؤلاء الزائرين (يتجه إلى المكتب ويصب لنفسه قدحًا) أتريد قدحًا؟

هوغو: لا (هنيهة) هل أنت خائف من الموت؟

هودرر: مِمّ؟

هودرر: كلا. ولكني مستعجل. لنني مستعجل أبدًا. في الماضي، كان لديّ سواء ان انتظر. أما الآن فإني لا أطيق.

هوغو: لا بدّ ان كرهك لهم شديد.

هودرر: لماذا؟ ليس لي اعتراضٌ مبدئي على الاغتيال السياسي. ان هذا يحدث في جميع الأحزاب.

هوغو: اعطني قدحًا.

هودرر (دهشًا) عجبًا! (يتناول القنينة ويصب له. يشرب هوغو وهو لا يني ينظر إليه) ماذا؟ ألم ترني أبدًا؟

هوغو: كلا، لم أرك أبدًا.

هودرر: لست في نظرك الا مرحلة، أليس كذلك؟ ان هذا طبيعي. انك تنظر إليّ من أعلى مستقبلك. انك تقول لنفسك: >> سأمضي عامين أو ثلاثة عند صاحبنا هذا، حتى إذا قضى ذهبت إلى مكان آخر، وقمت بعمل آخر... >>
هودرر: بعد عشرين عامًا ستقول لرفاقك: >> كان ذلك حين كنت سكرتيرًا لدى هودرر. << بعد عشرين عامًا. ان هذا لمضحك!

هوغو: بعد عشرين عامًا...

هودرر: ماذا؟

هوغو: انه زمن بعيد. اعني قدحًا آخر (يصب له هودرر) انا لم أشعر يومًا بأني سأعمر. انني أنا أيضًا مستعجل.

هودرر: ليس الأمر سواء.

هوغو: لا (هنيهة) انني أحيانًا مستعدّ لبسط يدي للقطع حتى أصبح رجلًا على الفور، ويخيّل إليّ أحيانًا أخرى اني لا أود أن أتجاوز شبابي.

هودرر: لا أعرف ما عساه يكون هذا.

هوغو: وماذا تعني؟

هودرر: الشباب، لا أعرف ما عساه أن يكون: لقد انتقلت مباشرة من الطفولة إلى عمر الرجال.

هوغو: أجل. ان الشباب مرض بورجوازي (يضحك) وان كثيرين ليقضون به.

هودرر: أتريد أن أساعدك؟

هوغو: ماذا؟

هودرر: يبدو لي انك بدأت بداءة سيئة. فهل تريد أن اساعدك؟

هوغو (منتفضًا): ليس أنت! (يتدارك نفسه بسرعة) ليس بوسع أحد أن يساعدني.

هودرر (متجهًا إليه): اسمع يا صغيري (يتوقف ويصغي) ها هما قد اتيا. (يتجه إلى النافذة. فيتبعه هوغو). أما الطويل فهو كارسكي، سكرتير البانتاغون. وأما السمين، فهو الأمير بول.

هوغو: ابن الوصي؟

هودرر: نعم (لقد تغيرت سحنته فبدت عليه اللامبالاة والقسوة والثقة بالنفس) حسبك شربا. اعطني قدحك (يفرغه في الحديقة) اذهب فاجلس. اسمع كل ما يقال لك حتى إذا أومأت لك، سجّل ما تسمع. (يغلق النافذة فيذهب ويجلس إلى مكتبه).

المشهد الرابع

الشخصان نفسهما، كارسكي، الأمير بول، سليك، جورج

(يدخل الزائران وخلفهما سليك وجورج مصوبين بندقيتيهما إلى ظهرهما)

كارسكي: أنا كارسكي.

هودرر (من غير أن ينهض): لقد عرفتك

كارسكي: أتعلم مَنْ يصحبني؟

هودرر: نعم.

كارسكي: إذن، اصرف حارسيْك.

هودرر: يكفي أيها الرفيقان. انسحبا. (ينسحب سليك وجورج)

كارسكي: (بهزؤ) انك محروس حراسة جيدة.

هودرر: لو لم اتخذ بعض الاحتياطات في هذه الفترة الأخيرة لما كان لي ان اسعد باستقبالكما.

كارسكي: (ملتفتًا إلى هوغو) وهذا؟

هودرر: انه سكرتيري. وهو باقٍ معنا.

كارسكي: (مقتربًا) أأنت هوغو بارين؟ (هوغو لا يجيب) انك تسير مع هؤلاء الأشخاص؟

هوغو: نعم.

كارسكي: التقيت بأبيك في الأسبوع الماضي. فهل يهمّك بعدُ ان تعلم بعض أنبائه؟

هوغو: لا.

كارسكي: من المرجح جدًا أن تقع عليك تبعة موته.

هوغو: يكاد يكون غير مشكوك فيه انه قد تحمل تبعة حياتي: اننا إذن متصافيان.

كارسكي: (من غير أن يرفع صوته) انك لشقي صغير.

هوغو: ماذا تقول؟

هودرر: اسكت أنت (لكارسكي) انتما لم تأتيا إلى هنا لتهينا سكرتيري، أليس كذلك؟ اجلسا، ارجوكما (يجلسان) كونياك؟

كارسكي: شكرًا.

الأمير: لا بأس أبدًا. (يصب له هودرر كأسًا)

كارسكي: هو ذا إذن هودرر الشهير (ينظر إليه) أمس الأول عاد رجالكم فاطلقوا النار على رجالنا.

هودرر: لماذا؟

كارسكي: كان لنا مستودع أسلحة في مخزن، فاراد رجالكم أن يستولوا عليه: هذا كل ما في الأمر.

هودرر: وهل استولوا على الأسلحة؟

كارسكي: أجل.

هودرر: مرحى!

كارسكي: لا مجال للاعتزاز والفخر: فقد كانوا عشرة مقابل واحد.

هودرر: خيرٌ لمن يرغبون في ربح المعركة أن يكونوا عشرة مقابل واحد. فهذا أضمن.

كارسكي: لا نتمَّ هذه المناقشة، فأنا أحسب اننا لن نتفق أبدًا، فلسنا من عرق واحد.

هودرر: اننا من عرق واحد، ولكننا لسنا من طبقة واحدة.

الأمير: حبذا يا سادة لو نعود إلى أمورنا.

هودرر: انني موافق. وكلي آذان.

كارسكي: بل كلنا نحن آذان.

هودرر: لا ريب في أن هناك سوء تفاهم.

كارسكي: على الأرجح. ولو لم اعتقد أن عندك اقتراحًا واضحًا تعرضه علينا، لما انزعجت من أجل أن اراك.

هودرر: ليس عندي ما اعرضه.

كارسكي: حسنًا (ينهض).

الأمير: ارجوكما يا سيديّ. عُدْ إلى الجلوس يا كارسكي. إن هذه لبداءة سيئة. أليس بوسعنا أن نضع بعض اليسر في هذا الاجتماع؟

كارسكي (للامير): بعض اليُسر؟ هل رأيت عينيه حين كان كلباه الحارسان ذانك يدفعاننا أمامهما ببندقيتيهما؟ ان هؤلاء الناس يحتقروننا، وانما وافقت على هذا اللقاء نزولًا على إلحاحك، ولكني على يقين من اننا لن نخرج منه بخير.

الأمير: لقد دبّرت يا كارسكي في العام الماضي محاولتين لاغتيال ابي، ومع ذلك فقد قبلت أن ألتقي بك. قد لا تكون هناك اسباب كثيرة تحملنا على تبادل الحب، ولكن عواطفنا ينبغي الا يُحسب لها حساب حين تكون القضية قضية المصلحة القومية (هنيهة). صحيح انه قد حدث اننا لم نكون نفهم دائمًا هذه المصلحة على وجه واحد. فانت يا هودرر، جعلت من نفسك المعبّر عن المطالب المشروعة للطبقة العاملة، وقد تكون بالغت في تبنّيك لها وحدك، اما ابي وأنا، فقد كنّا دائمًا بجانب هذه المطالب، ولكننا اضطررنا أمام موقف المانيا المقلق، ان نزيحها إلى الصعيد الثاني، لأننا ادركنا ان واجبنا الأول هو أن نحافظ على استقلال اراضينا، حتى ولو كان ثمن ذلك اتخاذ تدابير غير شعبية.

هودرر: تقصد اعلان الحرب على الاتحاد السوفياتي...

الأمير (متممًا كلامه): أما كارسكي واصدقاؤه الذين لم يكونوا يُقرّون وجهة نظرنا في السياسة الخارجية، فلعلهم استهانوا بضرورة ظهور إليريا موحّدة قوية أمام أعين الاجانب، كشعب واحد وراء قائد واحد. فإذا هم يشكلون حزبًا سريًا للمقاومة. هكذا يحدث لرجال هم جميعًا شرفاء ومخلصون

لوطنهم أن يجدوا أنفسهم مفترقين موقتًا بالطرق المختلفة التي يفهمون بها واجبهم (هودرر يضحك بخشونة) ماذا هناك؟

هودرر: لا شيء. استمر.

الأمير: أما اليوم، فان الاوضاع لحسن الحظّ قد تقاربت، ويبدو ان كلًا منا يفهم فهمًا ارحب وجهة نظر الآخرين. ان ابي غير راغب في متابعة هذه الحرب التي لا طائل تحتها والتي تكلفنا كثيرًا. وطبيعي اننا لسنا على استعداد لعقد صلح منفصل، ولكن بوسعي ان اضمن لكم ان العمليات العسكرية ستُساق من غير افراط في الحماسة. ويرى كارسكي من جانبه ان الانشقاقات الداخلية لا يمكن الا ان تسيء إلى قضية بلادنا، ونحن ننشد جميعًا ان نهيئ سلام الغد بتحقيق الوحدة القومية اليوم. ومفهوم ان هذه الوحدة لا يمكن ان تتحقق علنًا من غير ان تُثير شكوك المانيا؛ ولكنها ستجد مجالها في المنظمات السرية القائمة من قبل.

هودرر: وإذن؟

الأمير: هذا كل شيء. لقد أراد كارسكي واردت أن نبلغك النبأ السارّ باتفاقنا المبدئي.

هودرر: وما يعنيني من ذلك؟

كارسكي: حسبنا: اننا نضيع وقتنا.

الأمير (مستمرًا): لا حاجة إلى القول ان هذه الوحدة ينبغي أن تكون على أوسع نطاق ممكن. فاذا عبّر الحزب العمالي عن رغبته في الانضمام إلينا...

هودرر: فماذا تعرضون؟

كارسكي: صوتان لحزبكم في اللجنة الوطنية السرية التي سنشكلها.

هودرر: وما هو عدد الأصوات؟

كارسكي: اثنا عشر.

هودرر (مصطنعًا دهشة متأدبة): صوتان على اثني عشر؟

كارسكي: سينتدب الوصي أربعة من مستشاريه، أما الستة الأصوات الأخرى فهي للبانتاغون. وسيُنتخب الرئيس انتخابًا.

هودرر (مقهقهًا): صوتان على اثني عشر!

كارسكي: إن البانتاغون يضمّ معظم طبقة الفلاحين، أي سبعة وخمسين بالمئة من مجموع الشعب، بالإضافة إلى الطبقة البورجوازية كلها تقريبًا، أما طبقة العمال فلا تكاد تتمثل بعشرين بالمئة من سكان البلاد، وليست هي كلها وراءكم.

هودرر: حسنًا. وبعدُ؟

كارسكي: سنقوم بتعديل ودمج جذري لمنظمتينا السريتين وسيدخل رجالكم في جهازنا البانتاغوني.

هودرر: تريد أن تقول إن فرقنا سيبتلعها البانتاغون.

كارسكي: هذه خير طريقة للتوفيق؟

هودرر: هذا حق. التوفيق بازالة أحد الخصوم. وبعد ذلك، من المنطقي جدًا الّا نعطى الا صوتين في اللجنة المركزية، بل ان هذا أكثر مما ينبغي. فإن هذين الصوتين لا يمثّلان بعدُ شيئًا.

كارسكي: لستم ملزمين بالقبول.

الأمير (بسرعة) ولكن إذا قبلتم فان الحكومة ستكون بالطبع على استعداد لالغاء قوانين عام 39 عن الصحافة والوحدة النقابية وبطاقة العامل.

هودرر: يا له من اغراء! (يضرب الطاولة بيده) حسنًا، لقد تعارفنا، والآن لنبدأ العمل. هذه هي شروطي: لجنة رئيسية تقتصر على ستة أعضاء يتمتع حزب العمال بثلاثة منها، وتتوزعون الأصوات الثلاثة الباقية كما تشاءون. وستظل المنظمات السرية منفصلة تمامًا فيما بينها ولا تقوم بعمل مشترك الّا إثر تصويت من اللجنة المركزية. فاما قبول هذه الشروط أو رفضها.

كارسكي: هل تهزأ بنا؟

هودرر: لستم ملزمين بالقبول.

كارسكي (للامير) سبق ان قلت لك إنه من غير الممكن التفاهم مع هؤلاء الناس. ان في أيدينا ثلثي البلاد والمال والسلاح وفرقًا احتياطية مدربة، فضلًا عن الأولوية المعنوية التي يوفّرها لنا شهداؤنا. وهذه حفنة من الرجال لا مال عندها تطلب - بهدوء - الأكثرية في اللجنة المركزية.

هودرر: هل ترفضون إذن؟

كارسكي: أجل نرفض، وسنستغني عنكم.

هودرر: إذن اخرجا (كارسكي يتردد لحظة، ثم يتجه إلى الباب. الأمير لا يبدي حراكًا) انظر إلى الأمير يا كارسكي؛ إنه اخبث منك، وهو قد فهم.

الأمير (لكارسكي بهدوء): لا نستطيع أن نرفض هذه العروض من غير أن ندرسها.

كارسكي (بعنف) ليست هذه عروضًا. انها مطالب عابثة أرفض أن أناقشها. (ولكنه يظل جامدًا) **هودرر**: كانت الشرطة عام 42 تطارد رجالكم ورجالنا، وكنتم تدبرون مؤامرات لاغتيال الوصي، وكنّا نخرّب الانتاج الحربي، وحين كان شخص من البانتاغون يلتقي أحد رجالنا، كان لا بدّ لأحدهما من أن يبقى هناك مضرّجًا على الأرض. أما اليوم، فتريدون فجأة أن يتعانق جميع الناس. فلماذا؟

الأمير: من أجل خير الوطن.

هودرر: لماذا؟ أليس هو الخير نفسه في عام 42؟ (صمت) الا يكون ذلك بسبب أن الروس قد هزموا بولوس في ستالينغراد، وان الجيوش الألمانية تخسر الآن الحرب؟

الأمير: من البديهي أن تطوُّر النزاع يخلق موقفًا جديدًا. ولكني لا أرى...

هودرر: بل أنا على يقين انك بالعكس ترى جيدًا... انكم تريدون ان تنقذوا ايليريا، وأنا واثق من ذلك. ولكنكم تريدون انقاذها كما هي، بما فيها من وضع الظلم الاجتماعي والامتيازات الطبيعية. حين بدا الألمان منتصرين، مال والدك إلى جانبهم. اما وقد تغيّر الموقف الآن، فهو يسعى إلى التقرب من الروس. ولكن ذلك أشد صعوبة.

كارسكي: إن كثيرًا من رجالنا انما سقطوا وهم يصارعون الألمان، ولن اتيح لك أن تقول اننا تعاقدنا مع العدو لنحافظ على امتيازاتنا.

هودرر: اعرف يا كارسكي: ان البانتاغون كان ضد الألمان وكان الحظ بجانبكم: كان الوصي يقطع عهودًا لهتلر حتى يمنعه من اكتساح ايليريا. وكنتم كذلك ضد الروس، لأن الروس كانوا بعيدين. وأنا أعرف الأغنية: ايليريا، ايليريا وحدها. لقد غنّيتموها طوال عامين للبورجوازية القومية. ولكن الروس يقتربون، وسيكونون عندنا قبل انقضاء عام، ولن تكون ايليريا وحيدة كما هي الآن. واذن؟ ينبغي ايجاد ضمانات. فما أعظم حظكم حين يكون بامكانكم أن تقولوا لهم: كان البانتاغون يعمل لصالحكم وكان الوصي يلعب على الحبلين. على أنهم ليسوا ملزمين بان يصدقوكم. فما الذي سيفعلونه؟ ما الذي سيفعلونه؟ ينبغي ألّا ننسى آخر الأمر اننا أعلنا عليهم الحرب.

الأمير: يا عزيزي هودرر. حين يُدرك الاتحاد السوفياتي اننا باخلاص...

هودرر: حين يدرك أن ديكتاتورًا فاشستيًا وحزبًا محافظًا قد سارعا باخلاص إلى نجدة انتصاره، فاني أشك بان يعترف لهما بهذا الجميل (هنيهة) إن حزبًا واحدًا هو الذي احتفظ بثقة الاتحاد السوفياتي؛ حزب واحد ظلّ على اتصال به طوال الحرب، حزب واحد يستطيع أن يرسل مندوبين عنه عبر الخطوط، حزب واحد يستطيع أن يضمن اتفاقكما الصغير: انه حزبنا. حين يصبح الروس بين ظهرانينا، فسيرون بعيوننا. (هنيهة) هيا: يجب أن تسلكوا المسلك الذي نريده.

كارسكي: كان عليّ أن ارفض المجيء.

الأمير: كارسكي.

كارسكي: كان عليّ ان اتنبّأ بانكم ستجيبون على عروضنا الشريفة بمساومة دنيئة.

هودرر: اصرخْ ما حلا لك، فانك لن تؤثر فيّ. اصرخ كخنزير يذبحونه. ولكن اذكر هذا حين تصل الجيوش السوفياتية على ارضنا، فسنتسلّم الحكم معًا، انتم ونحن، إذا عملنا معًا، أما إذا لم نستطع التفاهم، فإن حزبي سيحكم >> وحده << في نهاية الحرب. فعليكم الآن أن تختاروا.

كارسكي: انني...

الأمير (لكارسكي): إن العنف لا يسوّي أيه قضية: ينبغي ان ننظر إلى الموقف بنظر واقعي.

كارسكي (للامير): انك لجبان. لقد جررتني إلى الفخّ لتنقذ رأسك.

هودرر: أي فخّ؟ إذهب إذا شئت. فلست بحاجة إليك لأتفاهم مع الأمير.

كارسكي (للامير): انك لن...

الأمير: لماذا يا تُرى؟ لئن كان الاتفاق لا يروق لك، فليس في نيتنا أن نلزمك بالاشتراك فيه؛ ولكن قراري لا يتوقف على قرارك.

هودرر: لا حاجة إلى القول إن تحالف حزبنا مع حكومة الوصي سيضع البانتاغون في موقف عسير أثناء الأشهر الأخيرة من الحرب؛ ولا حاجة إلى القول أيضًا اننا سنعمد إلى تصفيته نهائيًا حين ينهزم الألمان. ولكن ما دمتم حريصين على ان تظلّوا نظيفين...

كارسكي: لقد صارعنا طوال ثلاث سنوات من أجل استقلال بلادنا، ومات الوف الشبان من أجل قضيتنا، ففرضنا على العالم احترامنا، كل ذلك من أجل أن ينضمّ الحزب الألماني يومًا إلى الحزب الروسي ويغتالنا في ركنٍ من غاب.

هودرر: لا مجال هنا للعاطفة يا كارسكي. لقد خسرتم لأنكم تستحقون أن تخسروا. >> ايليريا، ايليريا وحدها >>، ان هذا شعار يسيء حماية بلدٍ صغير يحيط به جيران أقوياء. (هنيهة) هل تقبلون شروطي؟

كارسكي: انني لا أحمل صفة تخولني القبول. فلست وحدي.

هودرر: انني مستعجل يا كارسكي.

الأمير: لعلّ بوسعنا يا عزيزي هودرر ان نَدَعَ له وقتًا للتفكير. إن الحرب لم تنته، وليست نهايتها على مبعدة ثمانية أيام.

هودرر: أما أنا، فعلى مبعدة ثمانية أيام. انني امنحك ثقتي يا كارسكي. إن دأبي في الحياة أن اثق بالناس. أنا اعلم ان عليك أن تستشير أصدقاءك، ولكني اعلم أيضًا انك ستقنعهم. فاذا اعطيتني اليوم قبولك المبدئي، فسأتحدث غدًا إلى رفاق الحزب.

هوغو (منتصبًا فجأة): هودرر!

هودرر: ماذا؟

هوغو: كيف تجرؤ...؟

هودرر: صه!

هوغو: ليس لك الحق في ذلك. انهم... يا إلهي... انهم هم أنفسهم الأشخاص الذين كانوا يأتون لرؤية أبي... انها الأفواه نفسها، الكالحة الرخيصة و... وانهم ليتبعونني حتى إلى هذا المكان. لا حق لك بذلك، سوف يتسللون إلى كل مكان ويفسدون كل شيء، انهم الفئة الأقوى.

هودرر: هل تراك ستصمت؟

هوغو: اسمعا جيدًا انتما الاثنين: لن يكون الحزب وراءه في هذا الاتفاق، فلا تعتمدا عليه لتبررا موقفكما. لن يكون الحزب وراءه.

هودرر (للاخرين بهدوء): لا أهمية لهذا اطلاقًا. ان ذلك رد فعل شخصي جدًا.

الأمير: نعم، ولكن هذه الصيحات مزعجة. أليس بالإمكان ان يطلب إلى حراسك اخراج هذا الشاب؟

هودرر: طبعًا! وسيخرج من تلقاء نفسه. (ينهض ويتجه إلى هوغو)

هوغو (متراجعًا) لا تمسني. (يضع يده في الجيب، حيث المسدس) الا تريد أن تسمعني؟ الا تريد أن تسمعني؟

(في هذه اللحظة يسمع انفجار شديد يتطاير له الزجاج وتنتزع قضبان النوافذ)

هودرر: على بطونكم!

(يمسك هوغو من كتفيه ويلقي به أرضًا. ينبطح الآخران هما أيضًا)

المشهد الخامس

الأشخاص أنفسهم، ليون، سليك، جورج الذين يدخلون راكضين. وفيما

بعد، جسيكا

سليك: هل أصبت بجراح؟

هودرر (ناهضًا) كلا. هل جُرح أحد؟ (لكارسكي الذي نهض) أراك تنزف؟

كارسكي: ليس هذا بذي بال. انه من اثر حطام الزجاج.

جورج: قنبلة؟

هودرر: اما قنبلة وإما مفرقعة. ولكنهم صوبوا لأقصر مما ينبغي. فتشوا الحديقة.

هوغو (ملتفتًا إلى النافذة، محدثًا نفسه) الأنذال القذرون!

(ليون وجورج يقفزان من النافذة)

هودرر (للامير) كنت اتوقع شيئًا من هذا، ولكني آسف انهم اختاروا هذه اللحظة.

الأمير: ان ذلك ليذكرني بقصر والدي. كارسكي: هل هم رجالك الذين فعلوا ذلك؟

كارسكي: هل أنت مجنون؟

هودرر: بل انني أنا المقصود؛ ان هذه القضية لا تعني أحدًا سواي. (لكارسكي) انت ترى انه من الخير اتخاذ الاحتياطات (ينظر إليه) أن نزيفك يشتد.

(تدخل جسيكا لاهثة)

جسيكا: هل قتل هودرر؟

هودرر: لم يصب زوجك بأيّ أذى. (لكارسكي) ستصعد مع ليون إلى غرفتي، وهناك يضمد جراحك، ثم نستعيد هذه المحادثة.

سليك: ينبغي لكم أن تصعدوا جميعًا، لأنهم قد يعيدون التجربة، فتتحدثوا بينما يضمد ليون جراحه.

هودرر: ليكن. (يدخل جورج وليون من النافذة) ماذا وجدتما؟

جورج: مفرقعة. لقد قذفوها من الحديقة ثم فروا. وكان الجدار هو الذي تلقى كل شيء.

هوغو: الانذال القذرون.

هودرر: لنصعد (يتجهون نحو الباب. يهم هوغو باللحاق بهم) اما أنت فلا.

(يتبادلان النظر، ثم ينفتل هودرر ويخرج)

المشهد السادس

هوغو، جسيكا، جورج، سليك

هوغو (يتمتم بين أسنانه): الانذال القذرون.

سليك: ماذا تقول؟

هوغو: الأشخاص الذين قذفوا المفرقعة. انهم انذال قذرون (يذهب فيصب لنفسه كأسًا) **سليك**: اراك ثائر الأعصاب بعض الشيء، أليس كذلك؟

هوغو: ليس هذا بذي بال.

سليك: لا مجال للخجل. إنه عماد النار وستعتاده.

جورج: بل لا بأس في أن يُقال لك، ان هذا يسلّي على مر الأيام. أليس كذلك يا سليك؟

سليك: بلى، يغيّر الجو ويوقظ ويُنشّط السيقان.

هوغو: لست ثائر الأعصاب، ولكني أهذي. (يشرب)

جسيكا: بسبب من يا نحلتي الصغيرة؟

هوغو: بسبب الأنذال القذرين الذين قذفوا المفرقعة.

سليك: إنك لطيب القلب بعد كل شيء: أما نحن، فمنذ وقت طويل انقطعنا عن الهذيان.

جورج: بهذا نكسب خبزنا: فلولاهم، أولئك، ما كنا هنا.

هوغو: انك ترى: لقد كانوا جميعًا هادئين، وكانوا جميعًا مسرورين. كان ينزف كالخنزير، وكان يمسح خده باسمًا، وكان يقول >> ليس الأمر بذي بال >> فيا لهم من شجعان! انهم أكبر أولاد قحبة على وجه الأرض، وان عندهم قدرًا من الشجاعة يكفي ليمنعك من ان تحتقرهم حتى النهاية. (بحزن) إن هذا لأمر متعب. (يشرب) ليست الفضائل والعيوب موزعة توزيعًا عادلًا.

جسيكا: لست جبانًا يا روحي.

هوغو: لست جبانًا، ولكني لست كذلك شجاعًا. أنا عصبيّ أكثر مما ينبغي. بودّي لو أنام فأحلم بأني سليك. انظري: مئة كيلو من اللحم، وبندقة في الجمجمة، انه حوتٌ حقيقي. وتلك البندقة، في الرأس، ترسل شارات خوف وغضب، ولكن هذه الشارات تضيع في هذه الكتلة، وقصارى ما تفعله انها تدغدغه.

سليك (ضاحكًا) أتسمعه؟

جورج (ضاحكًا) إنه ليس على خطأ. (هوغو يشرب)

جسيكا: هوغو.

هوغو: ماذا؟

جسيكا: كفّ عن الشراب.

هوغو: لماذا؟ ليس عندي بعدُ شيء أعمله. لقد عُزلتُ من وظيفتي.

جسيكا: أهو هودرر الذي عزلك من وظيفتك؟

هوغو: هودرر؟ من ذا الذي يتحدث عن هودرر؟ بوسعك ان تظني بهودرر كلّ ما تشائين، ولكنه رجلٌ منحني ثقته. وليس باستطاعة الناس جميعًا أن يقولوا مثل ذلك. (يشرب ثم يتجه الى سليك) هناك أشخاص يعهدون إليك

في مهمة، فتبذل جهدًا عظيمًا للقيام بها، حتى إذا اوشكت أن تنجح فيها، رأيت انهم يسقطونك من حسابهم ويعهدون في المهمة إلى آخرين.

جسيكا: أتريد أن تسكت؟ لا احسبك ستروي لهم قصصنا البيتية.

هوغو: البيتية؟ ها! (منفرج القسمات) إنها مدهشة!

جسيكا: انه يتحدث عني. منذ سنتين وهو يأخذ عليّ اني لا امنحه ثقتي.

هوغو (لسليك): انها ذكية، أليس كذلك؟ (لجسيكا) لا، انك لا تمنحينني ثقتك. هل تثقين بي؟

جسيكا: بالطبع لا، في هذه اللحظة.

هوغو: لا يثق بي أحد. لا بدّ أنّ هيئتي ملتويةٌ بشكل ما. قولي لي انك تحبينني.

جسيكا: ليس أمامهم.

سليك: لا يُزعجْك وجودنا.

هوغو: انها لا تحبني ولا تعرف ما هو الحب. انها ملاك. تمثال من ملح.

سليك: تمثال من ملح؟

هوغو: لا، اردتُ أن أقول تمثال من ثلج. فإذا لامستها ذابت.

جورج: أي هذيان.

جسيكا: تعال يا هوغو، لتَعُدْ إلى البيت.

هوغو: انتظري، أود أن اقدم نصيحةً لسليك. انني أحب سليك حبًا جمًا، لأنه قوي ولأنه لا يفكر. أتريد نصيحة يا سليك؟

سليك: إذا كنت لا استطيع تجنُّبها!

هوغو: اسمع: لا تتزوج في الصبا المبكر.

سليك: ليس في ذلك أي خطر.

هوغو (وقد بدأ يثمل) لا، اسمع: لا تتزوج في الصبا المبكر. اتفهم ما اعنيه؟ لا تتزوج في الصبا المبكر. لا تتحمل ما لا تستطيع أن تقوم به. فان ذلك يثقل أكثر مما ينبغي فيما بعد. ان كل شيء ثقيل جدًا. لست أدري ان كنتما قد لاحظتما؛ أنه ليس من المناسب أن يكون المرء شابًا. (يضحك) مهمة سرية ذات ثقة. قل لي! أين هي الثقة؟

جورج: أية مهمة؟

هوغو: آه! انني مكلف بمهمة.

جورج: أية مهمة؟

هوغو: إنهم يريدونني على أن اتكلم، ولا يدرون ان هذا وقتٌ مضاعٌ معي. لست قابلًا للاختراق. (ينظر إلى نفسه في المرآة) غير قابل للاختراق! هيئة ليس فيها أدنى تعبير. هيئة الناس جميعًا. لا بدّ ان ذلك يُرى يا إِلهي؛ لا بد ان ذلك يُرى!

جورج: ماذا؟

هوغو: انني مكلف بمهمة سرية.

جورج: سليك؟

سليك: هم م م ...

جسيكا (بهدوء) لا تحطّما رأسيكما لفهم هذا الكلام: انه يعني اني سأرزق ولدًا. وانما هو ينظر في المرآة ليرى ان كان يبدو حقًا رب أسرة.

هوغو: عظيم! ربّ أسرة! هو ذلك. هو ذلك على التحقيق. رب أسرة. اننا، هي وأنا، نتفاهم بنصف كلمة. غير قابل للاختراق! لا بدّ أن يُعرف... رب أسرة، من شيء ما. من سيماء في الوجه أو مذاق في الفم. أو همّ في القلب. (يشرب) انني آسف من أجل هودرر، لانني اصارحكم انه كان بوسعه أن يساعدني . (يضحك) قولوا لي: إنهم لا شك فوق، يتحدثون بينا ينظف ليون جرح كارسكي. ولكن أتكونان حطبًا؟ أطلقا عليّ النار.

سليك (لجسيكا) ينبغي لهذا الفتى الّا يشرب.

جورج: إن الشرب لا يؤاتيه.

هوغو: أقول لكما: اطلقا عليّ. إن هذه مهنتكما. اسمعا إذن: إن ربّ أسرة، ليس هو قط رب أسرة حقيقيًا. إن القاتل ليس هو قط قاتلًا مئة بالمئة. انهم يمثلون، أتفهمون؟ في حين ان الميت، ميتٌ حقًا. إما أن يكون المرء أو لا يكون أليس كذلك؟ انكم تفهمون ما أعنيه. ليس هناك شيء يمكن أن أكونه، الّا أن أكون ميتًا فوق رأسه ستة أقدام عن الأرض. أقول لكم ان هذا كلّه تمثيل. (يتوقف فجأة) وهذا أيضًا تمثيل، كل هذا! كل ما قلته لكن الآن. لعلكم تظنون اني يائس؟ على الاطلاق: انني أمثّل اليأس تمثيلًا. فهل بالامكان الخروج من ذلك؟

جسيكا: هل تريد أن ندخل إلى البيت؟

هوغو: انتظري. لا. لست أدري... كيف يمكن القول، هل أريد أم لا أريد؟

جسيكا (مالئة قدحًا): اشرب إذن.

هوغو: حسنًا (يشرب)

سليك: لست مجنونة حتى تحثيه على الشراب.

جسيكا: افعل ذلك لننتهي من الأمر بمدة أقصر. والآن ليس لنا الا أن ننتظر. (هوغو يفرغ الكأس فتملأها جسيكا من جديد) **هوغو**: (ثملًا) ما الذي كنت أقوله؟ كنت أتحدث عن قتل؟ اننا جسيكا وأنا نعرف ما معنى هذا. الحقيقة ان الكلام أكثر مما ينبغي، هنا في داخل هذا (يضرب بيده جبينه) حبذا لو يأتيني السكوت (لسليك) أية راحة داخل رأسك أنت! فليس ثمة أيّ ضجيج، إنما الليل هنالك أسود. ولكن لماذا تدورون بهذه السرعة البالغة؟ لا تضحكوا: أنا اعلم اني ثَمل، وأعلم اني كريه. ولكني أقول لكم: ليس بودّي أن أكون في مركزي. اوه. كلا. ليس هو بالمركز الحسن: لا تدوروا! إن كل ما في الأمر اشعال الفتيل. يبدو ان ذلك ليس بالأمر العسير، ولكني لا اتمنى لكم ان تُكلّفوا بمثل هذا. الفتيل: كلّ شيء يكمن فيه. اشعال الفتيل. وبعد ذلك يُنسف الجميع وأنا معهم: ولا حاجة بعدُ إلى اثبات الغياب عن مسرح الجريمة، وسيشمل الكون الصمت والليل. إلّا إذا كان الموتى أيضًا يمثلون. افرضوا ان شخصًا مات ثم اكتُشف ان الموتى احياء يمثلون دور الموتى! سنرى. سنرى. ينبغي فقط اشعال الفتيل. هذه هي اللحظة النفسية. (يضحك) ولكن لا تدوروا، بالله عليكم وإلّا فاني أنا ايضًا أدور. (يحاول أن يدور فيسقط على كرسيّ) وهذه هي حسنات التربية البورجوازية (يتهادى رأسه فتقترب جسيكا وتنظر إليه).

جسيكا: حسنًا. انتهى الأمر. هل تسمحان بمساعدتي لنقله إلى سريره؟

(سليك ينظر إليها وهو يحك رأسه)

سليك: ان زوجك يتكلم أكثر مما ينبغي.

جسيكا (ضاحكة) انتما لا تعرفانه. ليس لشيء مما قاله أهمية.

(سليك وجورج يرفعانه من كتفيه وقدميه)

ستـــــار

الفصل الخامس

في الجناح

المشهد الأول

هوغو، جسيكا، ثم أولغا

هوغو نائم في سريره، مرتديًا ثيابه الكاملة، ملتحفًا بغطاء يتحرك ويئن في نومه. جسيكا جالسة على حافة السرير لا تبدي حراكًا. يئن أيضًا. تنهض وتذهب إلى غرفة التواليت، يسمع الماء يجري، أولغا مختبئة وراء ستائر النافذة. تزيح الستائر، وتظهر رأسها. تعتزم وتقترب من هوغو، تنظر إليه. هوغو يئن. تعدل أولغا رأسه وتركز مخدته. تعود جسيكا في هذه الأثناء وترى المشهد، وفي يد جسيكا رفادة رطبة.

جسيكا: أيّة عناية! صباح الخير يا سيدتي،

أولغا: لا تصيحي انني...

جسيكا: لا رغبة لي بالصياح. احلسي. بل إنّ لي رغبة للضحك.

أولغا: أنا أولغا لورام.

جسيكا: لقد خمنت ذلك.

أولغا: هل حدثك هوغو عني؟

جسيكا: نعم.

أولغا: هل هو جريح؟

جسيكا: كلّا: إنه ثمل. (مارة أمام أولغا) أتسمحين؟

(تضع الرفادة على جبين هوغو)

أولغا: ليس هكذا. (تركز الرفادة) **جسيكا**: اعذريني.

أولغا: وهودرر؟

جسيكا: هودرر؟ ولكن اجلسي، أرجوك. (تجلس أولغا). أأنت التي قذفت هذه القنبلة، يا سيدتي؟

أولغا: نعم.

جسيكا: لم يقتل أحد: ستكونين أكثر حظًا في مرة قادمة. كيف دخلت إلى هنا؟

أولغا: من الباب. لقد تركتماه مفتوحًا حين خرجتما. يجب ألّا تترك الأبواب مفتوحة أبدًا.

جسيكا: (مشيرة إلى هوغوّ) هل كنت تعلمين أنه كان موجودًا في المكتب؟

أولغا: لا.

جسيكا: ولكن كنت تعلمين أنه ربما كان فيه؟

أولغا: كانت مجازفة لا بدّ من القيام بها.

جسيكا: لو أوتيت بعض الحظ، لكنتِ قتلته.

أولغا: هذا خير ما كان يحدث له.

جسيكا: حقًا؟

أولغا: إن الحزب لا يحبّ الخونة كثيرًا.

جسيكا: ليس هوغو بالخائن.

أولغا: هذا ما أعتقد به. ولكنني لا استطيع أن اقصر الآخرين على الاعتقاد به. (هنيهة) لقد طال بهذه القضية الأمد، وقد كان ينبغي أن تنتهي منذ ثمانية أيام.

جسيكا: لا بدّ من انتهاز فرصة.

أولغا: بل علينا نحن أن نخلق الفرص.

جسيكا: أيكون الحزب هو الذي أرسلك؟

أولغا: إن الحزب لا يعرف أنني هنا: لقد أتيت من تلقاء نفسي.

جسيكا: فهمت: لقد وضعت قنبلة في محفظتك واتيت بلطف لترميها على هوغو من أجل أن تنقذي سمعته.

أولغا: لو كنت قد نجحت لظنّوا أنه نسف نفسه مع هودرر.

جسيكا: أجل، ولكنه كان يكون قد مات.

أولغا: أيًّا ما تكون الطريقة التي يتبعها، فليس له الآن حظّ كبير للخروج من مأزقه.

جسيكا: ان صداقتك لشاقة.

أولغا: انها بكل تأكيد أشق من حبك. (تتبادلان النظرات) أأنت التي منعته من إتمام عمله؟

جسيكا: انني لم أمنع شيئًا على الاطلاق.

أولغا: ولكنك لم تساعديه على أي حال.

جسيكا: ولم تُراني أساعده؟ هل استشارني قبل أن ينتسب إلى الحزب؟ وحين قرّر ان خير ما يقضي به حياته هو ان يذهب لاغتيال مجهول، اتراه استشارني أيضًا؟

أولغا: ولماذا يستشيرك؟ وأيةُ نصيحة كان يمكن أن تسديها إليه؟

جسيكا: طبعًا.

أولغا: لقد اختار هذا الحزب؟ وطلب الاضطلاع بهذه المهمة، وقد كان هذا حسبك؟

جسيكا: لا، ان هذا لا يكفيني.

(يئن هوغو).

أولغا: ان حالته سيئة. كان عليك ألا تتركيه يشرب.

جسيكا: كان يكون أسوأ حالًا لو تلقى انفجار قنبلتك في وجهه. (هنيهة) أية خسارة في انه لم يقترن بك: لقد كان بحاجة إلى امرأة ذات عقل راجح. ولو تمّ ذلك لكان يبقى في غرفتك ليكوي ثيابك الداخلية بينما تذهبين انت لالقاء قذائف في منعطفات الشوارع، وكنّا نكون جميعًا جدّ سعداء (تنظر إليها) كنت اظنك فارعة القامة قوية العظم.

أولغا: ذات شاربين؟

جسيكا: من غير شارب ولكن بثؤلول تحت الأنف. كان طابع الأهمية يبدو دائمًا على وجهه حين كان يخرج من لدنك. كان يقول: << لقد تحدثنا بالسياسة >>.

أولغا: وبالطبع لم يكن ليتحدّث معك بها أبدًا.

جسيكا: انت تعلمين جيدًا أنه لم يتزوجني من أجل هذا (هنيهة) إنك تحبينه، أليس كذلك؟

أولغا: أيّ شأن للحب هنا؟ أنت تقرئين من الروايات أكثر مما ينبغي.

جسيكا: لا بدّ للمرء من أن يشغل نفسه بشيء ما حين لا يتعاطى السياسة.

أولغا: اطمئني، فالحب لا يقلق كثيرًا بال النساء ذوات الرؤوس المفكرة. اننا لا نحيا به.

جسيكا: أمّا أنا، فهل احيا به؟

أولغا: كسائر النساء ذوات القلوب.

جسيكا: ليكن ما تقولين؛ فأنا اوثر قلبي على رأسك.

أولغا: يا لهوغو المسكين!

جسيكا: أجل. يا لهوغو المسكين! لا بد انك تحتقرينني كثيرًا يا سيدتي.

أولغا: أنا؟ ليس لي من وقت أهدره. (صمت). أيقظيه. إن عندي ما أقول له.

جسيكا: (تقترب من السرير وتهز هوغو) هوغو! هوغو! ان لديك زائرين.

هوغو: هيه؟ (يجلس في سريره) أولغا! أولغا، هل اتيت! يسعدني أن تكوني هنا، فينبغي لك ان تساعديني (يجلس على حافة السرير). إلهي أيّ صداع هذا! أين نحن؟ أؤكد لك انه يسعدني ان تكوني قد اتيت. انتظري: لقد حدث شيء، شيء مزعج جدًا. انك لن تستطيعي بعد أن تساعديني. لا يمكنك أن تساعديني الآن. لقد قذفت المفرقعة، أليس كذلك؟

أولغا: نعم.

هوغو: لماذا لم تثقوا بي؟

أولغا: هوغو! بعد ربع ساعة سيرمي لي رفيق حبلًا من أعلى الحائط، وعليَّ ان أذهب. إنني عجلى وعليك أن تصغي لي.

هوغو: لماذا لا تثقوا بي؟

أولغا: جسيكا! اعطيني هذه الكأس وتلك الزجاجة. (جسيكا تعطيهما لها، فتملأ الكأس وترش وجه هوغو بالماء).

هوغو: بفو!

أولغا: أتسمعني؟

هوغو: نعم. (يمسح الماء عن وجهه). ما أشدّ هذا الصداع! هل بقي في الزجاجة ماء؟

جسيكا: نعم.

هوغو: صبي لي لأشرب، أتريدين؟ (تمد له الكأس فيشرب) ما رأي الرفاق؟

أولغا: رأيهم انك خائن.

هوغو: إنهم ليذهبون بعيدًا!

أولغا: لم يبق لك يوم واحد تضيعه. لا بدّ من تصفية القضية قبل مساء الغد.

هوغو: ما كان لك أن تقذفي المفرقعة.

أولغا: لقد شئت، يا هوغو ان تضطلع بمهمة عسيرة، وان تضطلع بها وحدك. وقد كنت أول من وثق بك، حين كان ثمة مئة سبب لحجب الثقة عنك، وأنا التي نقلت ثقتي للآخرين. ولكننا لسنا كشّافين، ولم يخلق الحزب ليتيح لك فرصًا للبطولة. إن هناك عملًا ينبغي القيام به ولا بد من تحقيقه، وسيان ان تحققه انت أو سواك. فإذا لم تنجز مهمتك بعد أربع وعشرين ساعة، فسيرسل سواك لانجازها بدلًا عنك.

هوغو: إذا أنبتم عني غيري، فسأترك الحزب.

أولغا: ماذا تظنّ؟ اتعتقد أن بامكان أحد أن يترك الحزب؟ اننا في حرب يا هوغو، والرفاق لا يمزحون، ودون ترك الحزب تقطيع الأقدام.

هوغو: لست أهاب الموت.

أولغا: ليس الموت أمرًا ذا بال، ولكن أن يكون المرء بمثل هذه البلاهة، بعد أن يكون قد فوّت عليه كلّ شي، أن يستهدف كالباذلة نفسها، بل شرّ من ذلك؛ كأبله يصفّي أمره تفاديًا من خَرقَه، أهذا هو ما تريد؟ أهذا هو ما كنت تبغي، حين اتيتني للمرة الأولى وكنت سعيدًا وفخورًا إلى ذلك الحدّ؟ بل حدثيه، أنت! إذا كنت تكنين له بعض الحب، فليس بوسعك أن تقبلي بقتله كما يقتل الكلب.

جسيكا: تعلمين جيدًا يا سيدتي، أنني لا أفقه شيئًا في السياسة.

أولغا: علام عزمت؟

هوغو: ما كان لك أن تقذفي المفرقعة.

أولغا: علام عزمت؟

هوغو: ستعلمون غدًا.

أولغا: حسنًا. استودعك الله يا هوغو.

هوغو: استودعك الله يا أولغا.

جسيكا: إلى اللقاء يا سيدتي.

أولغا: اطفئي النور. يجب الّا يراني أحد وأنا خارجة

(تطفئ جسيكا النور. تفتح أولغا الباب وتخرج).

المشهد الثاني

هوغو، جسيكا

جسيكا: أأضيء من جديد؟

هوغو: انتظري. فقد تضطر للعودة (ينتظران في الظلام)

جسيكا: بامكاننا أن نشق ستائر النافذة الخشبية لنرى.

هوغو: كلا. (صمت)

جسيكا: هل يشق عليك شيء؟ (لا يجيب هوغو) اجبني ما دام الظلام مخيمًا.

هوغو: أحس صداعًا، وهذا كل ما في الأمر. (هنيهة) ان الثقة لا قيمة لها حين لا تتماسك ثمانية أيام من الانتظار.

جسيكا: أجل، لا قيمة لها.

هوغو: وكيف تريدين أن تعيشي، إذا لم يكن هناك من يمنحك ثقته؟

جسيكا: لم يثق بي أحدٌ قطّ، ولقد كانت ثقتك أنت دون ثقة الآخرين. ومع ذلك فقد استطعت أن اتدبر أمري.

هوغو: لقد كانت الوحيدة التي آمنت بي بعض الشيء.

جسيكا: هوغو...

هوغو: الوحيدة، وانك لتعلمين ذلك جيدًا. (هنيهة) لا بدّ أن تكون في مأمن الآن. أظن ان بامكاننا أن نضيء من جديد.

(يضيء من جديد. تشيح جسيكا عنه بوجهها فجأة). ماذا دهاك؟

جسيكا: يضايقني أن أراك في النور.

هوغو: أتريدين أن أطفئه؟

جسيكا: لا. (تعود نحوه) أنت، أنت، ستقتل رجلًا!

هوغو: وهل أعرف ما سأفعله؟

جسيكا: أرني المسدّس.

هوغو: لماذا؟

جسيكا: أريد أن أعرف كيف هو مصنوع.

هوغو: لقد حملته ساعات ما بعد الظهر بطولها.

جسيكا: في تلك اللحظة، لم يكن سوى لعبة.

هوغو: (يقدمه إليها) احذريه.

جسيكا: نعم. (تنظر إليه) عجبًا!.

هوغو: ما هو العجب؟

جسيكا: إنه يخيفني الآن. استعدْه. (هنيهة) انك ستقتل رجلًا. (يأخذ هوغو بالضحك).

جسيكا: لماذا تضحك؟

هوغو: إنك تؤمنين بذلك الآن! لقد عزمت على الإيمان بذلك؟

جسيكا: أجل.

هوغو: لقد عرفت كيف تختارين لحظتك: إن أحدًا لا يؤمن بعد بذلك. (هنيهة) منذ ثمانية أيام، ربما كان ذلك يعينني...

جسيكا: ليس الذنب ذنبي: فأنا لا أؤمن إلا بما أرى. وفي هذا الصباح بالذات، لم أكن لأستطيع حتى التخيّل بأن يموت. (هنيهة) لقد دخلت المكتب منذ لحظة، وكان هناك الشخص الذي يقطر دما، وكنتم كلكم موتى. إن هودرر رجل ميّت؛ لقد رأيت ذلك على وجهه! فإن لم تكن أنت قاتله، فسيرسلون شخصًا آخر.

هوغو: سأكون أنا القاتل (هنيهة) وذلك الشخص الذي كان يقطر دمًا، كان قذرًا أليس كذلك؟

جسيكا: أجل، كان قذرًا.

هوغو: إن هودرر أيضًا سيقطر دمًا.

جسيكا: صه!

هوغو: سيكون ملقىً على الأرض، بهيئة بلهاء، وسيقطر دمًا في ثيابه.

جسيكا: (بصوت بطيء ومنخفض). ولكن آن لك أن تصمت.

هوغو: لقد قذفت الجدار بمفرقعة. وليس في هذا ما يدعو للفخر، فهي لم تكن حتى لترانا. ان أي إنسان يستطيع أن يقتل، إذا لم يُقسر على رؤية ما يفعله. كدت أن اطلق، أنا. كنت في المكتب، وكنت احدق إلى وجوههم، وكدت أن اطلق، ولكنها هي التي حالت دون ذلك.

جسيكا: وهل كنت ستطلق حقًا؟

هوغو: كانت يدي في جيبي، واصبعي على الزناد.

جسيكا: وكنت على وشك الاطلاق! وهل أنت متأكد انه كان بامكانك أن تطلق؟

هوغو: كان... كان من حسن الحظ اني كنت غاضبًا؛ وطبعًا كنت سأطلق. أمّا الآن، فعلينا أن نعيد كل شيء. (يضحك) لقد سمعتها: يقولون انني خائن. ما أيسر مهمتهم. حين يقررون هناك موت رجل، فكأنهم يحذفون اسمًا من حوليّة: شيء نظيف، شيء ظريف! أمّا هنا، فالموت انما هو عمل. هنا المسالخ (هنيهة) إنه يشرب، يدخن، يحدثني عن الحزب، يعدّ مشاريع... وأنا افكر بالجثة التي سيغدوها، أيّ أمر مقذع هذا! هل رأيت إلى عينيه؟

جسيكا: نعم.

هوغو: ارأيت كم هما لامعتان وقاسيتان؟ وحادتان أيضًا؟

جسيكا: نعم.

هوغو: قد اطلق الرصاص في عينيه. قد يصوّب المرء إلى البطن، ولكن السلاح يرتفع.

جسيكا: إنني أحب عينيه.

هوغو: (فجأة) إنه لصعب الادراك!

جسيكا: ماذا؟

هوغو: القتل، اقول بأنه شيء صعب الادراك. إنك تضغطين على زناد المسدس، وبعد ذلك، لا تفهمين شيئًا مما يحصل. (هنيهة) لو كان باستطاعتنا أن نطلق مشيحين برأسنا. (هنيهة) إني لأتساءل لماذا أحدثك عن ذلك كله.

جسيكا: وأنا أيضًا اتساءل عن ذلك.

هوغو: معذرة. (هنيهة) ومع ذلك فلو كنت في هذا السرير أنازع الموت، فلن تتخلّي عني أليس كذلك؟

جسيكا: لا.

هوغو: الأمر سواء؛ أن يَقْتُلَ المرء أو يموت: فهو وحيد في الحالين. انه هو محظوظ سعيد، فلن يموت إلّا مرّة واحدة. أمّا أنا، فها قد مضت عشرة أيام وأنا اقتله، في كل دقيقة. (فجأة) ماذا ستفعلين يا جسيكا؟

جسيكا: كيف؟

هوغو: اسمعي: إذا لم أقتل غدًا، فيجب عليّ أن اختفي من الوجود، وإلّا فعليّ أن أسعى إلى لقائهم وأقول لهم: افعلوا ما تشاؤون. أما إذا قتلت... (يخبئ وجهه لحظة في راحته) ماذا عليّ أن افعل؟ ماذا ستفعلين؟

جسيكا: أنا؟ إنك تسألني أنا بالذات، ما أفعله لو كنت مكانك؟

هوغو: من تريدين أن أسأل عن ذلك؟ لم يبق لي سواك في هذا العالم.

جسيكا: هذا صحيح. لم يبقَ لك سواي. لم يبقَ سواي، مسكين هوغو. (هنيهة) لو كنت مكانك لسعيت إلى هودرر وقلت له: دونك القضية: لقد ارسلوني لأقتلك، ولكني غيرت رأي، وأنا راغب في العمل معك.

هوغو: مسكينة يا جسيكا!

جسيكا: أليس هذا ممكنًا؟

هوغو: هذا بالضبط ما يمكن أن يسمى خيانة.

جسيكا: أترى؟ لا استطيع أن أقول لك شيئًا. (هنيهة) لماذا لا يكون ذلك ممكنًا؟ الأنه يخالفك في ارائك؟

هوغو: إذا شئت. لأنه يخالفني في آرائي.

جسيكا: وهل يجب قتل من يخالفونكم في الرأي؟

هوغو: أحيانًا.

جسيكا: ولكن لماذا اخترت آراء لويس وأولغا؟

هوغو: لأنها كانت صحيحة.

جسيكا: ولكن افرض يا هوغو انك التقيت بهودرر في العام الماضي بدلًا من لويس. إذن فإن آراءه هي التي كانت تبدو لك صحيحة.

هوغو: إنك لمجنونة.

جسيكا: لماذا؟

هوغو: إن من يسمعك يعتقد ان جميع الآراء ذات قيمة واحدة، وانه يمكن للمرء أن يلتقطها كما يلتقط الأمراض.

جسيكا: لا اعتقد ذلك. فأنا... فأنا لست أدري ما اعتقد. اسمع يا هوغو: إنه قوي جدًا، وحسبه أن يفتح فمه حتى يتأكد الانسان من انه على حق. ثم انني كنت اعتقد بأنه صادق مخلص، وأنه يبغي صالح الحزب.

هوغو: ما يبغيه، ما يفكر به، كل هذا أهزأ منه. ان ما يعوّل عليه هو الذي يعمله.

جسيكا: ولكن...

هوغو: انه، << موضوعيًا >>، يتصرف كأنه اشتراكي خائن.

جسيكا: (من غير أن تفهم) << موضوعيًا >>؟

هوغو: نعم.

جسيكا: آه! (هنيهة) وهو، لو كان يعلم ما تعده، أتراه يعتقد انك اشتراكي خائن؟

هوغو: لست أدري.

جسيكا: ولكن هل يمكن أن يعتقد ذلك؟

هوغو: وأيّ حرج في هذا؟ أجل، أرجح ذلك.

جسيكا: إذن، من منكما على حق؟

هوغو: أنا.

جسيكا: وما حجتك؟

هوغو: ان السياسة علم، فبوسعك ان تبرهني أنك على صواب وأن الآخرين مخطئون.

جسيكا: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا تتردد؟

هوغو: ان الشرح يطول أكثر مما ينبغي لو حاولته.

جسيكا: ان أمامنا الليل.

هوغو: قد يقتضينا ذلك أشهرًا وسنين.

جسيكا: هكذا إذن! (تمشي نحو المكتب) وكل ذلك مكتوب هاهنا.

هوغو: نعم، إلى حد ما، حسب المرء أن يعرف القراءة.

جسيكا: يا إلهي! (تأخذ كتابًا فتفتحه، وتنظر فيه مسحورة ثم تضعه متنهدة) يا إلهي!

هوغو: أما الآن فدعيني. نامي أو افعلي ما تشائين.

جسيكا: ماذا دهاك؟ ما الذي قلتُه؟

هوغو: لا شيء. لم تقولي شيئًا. انني أنا المذنب: كان جنونًا مني أن اطلب منك العون. إن نصائحك تأتي من عالم آخر.

جسيكا: والذنب، ذنب من؟ لماذا لم يعلموني شيئًا؟ لماذا تشرح لي شيئًا؟ أسمعت ما قاله؟ بأنني كنت شيئًا كماليًا لك. لقد مضت تسعة عشر عامًا منذ وضعوني في عالمكم انتم الرجال وحظروا عليّ أن المس الأشياء المعروضة، وجعلتموني اعتقد ان جميع الأمور تسير على ما يرام، وانه ليس

عليّ أن أهتمّ بشيء إلّا بوضع زهورٍ في الأواني. لماذا كذبتم عليّ؟ لماذا تركتموني في ظلمة الجهل، إذا كان ذلك من أجل أن تعترفوا لي ذات يوم، أن هذا العالم يتداعى من جميع جوانبه، وانكم انتم عاجزون، ومن أجل أن تضطروني للاختيار بين انتحار وقتل. اني لا أريد أن اختار، لا أريد أن تسلم نفسك للقتل، ولا أريد أن تقتله. لماذا وضعتم هذا العبء على كتفي؟ انني لا أدرك من أموركم شيئًا، واني لأغسل يدي منها. انني لست بطاغية، ولا اشتراكية خائنة، ولا ثوريّة. أنا لم أفعل شيئًا. وانني من كل ذلك براء.

هوغو: لن اطلب منك شيئًا بعد الآن، يا جسيكا.

جسيكا: لقد فات الأوان يا هوغو، انك قد أدخلتني في الحلبة ولا بدّ لي من ان اختار الآن، ان اختار لك ولي: انها حياتي التي اختار مع حياتك وأنا... أوه! الهي! لا يمكنني.

هوغو: أترين!

(صمت. هوغو جالس على السرير وعيناه في الفضاء.

تجلس جسيكا قريبًا منه وتحيط عنقه بذراعيها).

جسيكا: لا تقل شيئًا. لا تهتمّ بي، فلن أحدّثك ولن أمنعك من التفكير. ولكنني سأكون هنا. ان الجو يبرد في الصباح، وستكون مسرورًا بأن تصيب قليلًا من دفئي ما دمت لا أملك شيئًا آخر أعطيك إياه. أما زلت تشعر بالصداع؟

هوغو: نعم.

جسيكا: ضع رأسك على كتفي. ان جبينك ملتهب. (تلامس شعره) مسكين رأسك.

هوغو: (معتدلًا فجأة) كفى!

جسيكا: (بهدوء) هوغو!

هوغو: انك تمثلين دور أمّ الأسرة.

جسيكا: انني لا أمثل. ولن أمثل بعدُ أبدًا.

هوغو: ان جسدك بارد وليس لديك دفء تمنحينني إياه. وليس عسيرًا أن تنحني امرأة على رجلٍ مصطنعة دور الأم، فتمرّ يدها خلال شعره؛ ان اية

فتاة صغيرة تحلم أن تكون مكانك. ولكنني حين أخذتك بين ذراعي وطلبت إليك أن تكوني زوجتي، لم تحسني التخلّص كما يجب.

جسيكا: صه!

هوغو: ولماذا أسكت؟ أتراك لا تعلمين أن حبّنا كان تمثيلًا؟

جسيكا: ان ما يعوّل عليه هذه الليلة، ليس حبّنا، وانما ما سنفعله غدًا.

هوغو: ان الأمور كلها متصل بعضها ببعض. لو كنت متأكدًا... (فجأة) جسيكا، انظري إليّ. أيمكنك أن تقولي لي انك تحبينني؟ (ينظر إليها. صمت) ها نحن إذن، حتى هذا، ما كان لي ان اظفر به.

جسيكا: وانت يا هوغو؟ اتعتقد انك كنت تحبني؟ (لا يجيب) انك لترى جيّدًا. (هنيهة. فجأة.) لماذا لا تحاول أن تقنعه؟

هوغو: ان اقنعه! اقنع من؟ هودرر.

جسيكا: ما دام مخطئًا، فلا بدّ أن بوسعك أن تبرهن له على ذلك.

هوغو: اتعتقدين! انه صيني أكثر مما ينبغي.

جسيكا: كيف تعرف ان افكارك صحيحة، إذا لم تستطع أن تبرهن على ذلك؟ أي هوغو، ان ذلك سيكون حسنًا جدًا، وستصلح بين الجميع، وسيكون الجميع مسرورين، وستعملون معًا جميعًا. حاول يا هوغو، أرجوك. حاول مرّة واحدة على الأقل قبل أن تقتله.

(يطرق الباب. ينتصب هوغو وتلتمع عيناه)

هوغو: إنها أولغا. لقد عادت؛ كنت متأكدًا أنها ستعود. أطفئي النور واذهبي فافتحي.

جسيكا: ما أشدّ حاجتك إليها.

(تذهب فتطفئ وتفتح الباب. يدخل هودرر. يشعل هوغو النور من جديد حين يغلق الباب)

المشهد الثالث

هوغو، جسيكا، هودرر

جسيكا: (متحققة من انه هودرر) ها!

هودرر: هل اخفتك؟

جسيكا: إن اعصابي متوترة هذا المساء. من تلك القنبلة التي انفجرت...

هودرر: نعم. بكل تأكيد. أمن عادتك أن تبقي في الظلام؟

جسيكا: إنني مضطرة لذلك. فإن عينيّ متعبتان.

هودرر: آه! (هنيهة) هل استطيع أن أجلس لحظة؟

(يجلس في المقعد). لا تتضايقا من أجلي.

هوغو: هل لديك ما تقوله لي؟

هودرر: لا. لا، لا. لقد اضحكتني منذ هنيهة، كنت محمرًّا من فرط الغضب.

هودرر: إني...

هودرر: لا تعتذر: كنت أتوقع ذلك. بل إنك لو لم تحتجّ، لكنت قلقت. إن هناك أشياء كثيرة يجب أن اشرحها لك. ولكن غدًا. غدًا سنتحدّث فيما بيننا. أما اليوم فعملك قد انتهى. وعملي أيضًا. انه نهارٌ غريبٌ، أليس كذلك؟ لماذا لا تعلّقان صورًا على الجدران فتبدو أقل عريًا؟ هناك كثير منها في العليّة. وبإمكان سليك أن ينزلها لكما.

جسيكا: أي نوعٍ من الصور هي؟

هودرر: على اختلاف الأنواع. بوسعك أن تختاري.

جسيكا: أشكرك. انني لست حريصة على الصور.

هودرر: كما تشائين. أليس عندكما شيء من الشراب؟

جسيكا: كلا. أنا آسفة.

هودرر: فليكن! فليكن! ماذا كنتما تفعلان قبل مجيئي؟

جسيكا: كنا نتحدّث.

هودرر: إذن تحدثا! تحدثا! لا تهتما بي (يحشو غليونه ويشعله. صمت ثقيل. يبتسم) أجل، طبعًا.

جسيكا: ليس من السهل أن نتخيل أنك لست هنا.

هودرر: يمكنكما أن تضعاني خارج الباب (لهوغو) لست مجبرًا على استقبال معلمك حين تنازع نفسه اهواء غريبة. (هنيهة) لست أدري لماذا أتيت. لم أكن أرغب في النوم، وقد حاولت أن أعمل ... (هازًا كتفيه) لا يمكن للمرء أن يعمل طوال الوقت.

جسيكا: لا.

هودرر: ستنتهي تلك القضية...

هوغو: (بحيوية) أية قضية؟

هودرر: القضية مع كارسكي. انه يقاوم قليلًا، ولكن الأمر سينتهي بأسرع مما كنت أظن.

هوغو (بعنف) إنك...

هودرر: صه. غدًا! غدًا! (هنيهة) حين يقارب عملٌ ما نهايته يحسّ المرء كأنه لا عمل له. كانت غرفتكما مضاءة منذ حين.

جسيكا: نعم.

هودرر: لقد وقفت إزاء النافذة، في الظلام، حتى لا أجعل من نفسي هدفًا. أرأيتما إلى الليل كم هو حالك وهادئ، كان النور يتسرّب عبر مصاريع نوافذكما (هنيهة) لقد كنا من الموت على خطوة واحدة.

جسيكا: نعم.

هودرر: (بضحكة خفيفة) على خطوة واحدة (هنيهة) لقد خرجت من غرفتي على مهل. كان سليك نائمًا في الرواق. وجورج كان نائمًا في الصالة. وليون كان نائمًا في الدهليز. وكان يودّي أن أوقظه ثم ... (هنيهة) وها أنذا: لقد أتيت. (لجسيكا) ما بك؟ كنت تبدين أقلّ خجلًا بعد ظهر اليوم.

جسيكا: بسبب المظهر الذي تبدو أنت عليه الآن.

هودرر: أي مظهر؟

جسيكا: كنت اعتقد أنك لم تكن بحاجة إلى أحد.

هودرر: لست بحاجة إلى أحد (هنيهة) لقد قال لي سليك انك حامل؟

جسيكا: (بحيوية) هذا غير صحيح.

هوغو: لِمَ يا جسيكا، إذا اخبرت سليك بهذا، فلماذا تخفينه عن هودرر؟

جسيكا: لقد سخرت من سليك.

هودرر: (ينظر إليها طويلًا) حسنًا (هنيهة) حين كنت نائبًا في اللاندستاغ، كنت اقطن عند صاحب مرأب. وفي المساء كنت آتي لأدخن غليوني في غرفة طعامهم. كان هناك راديو. وكان الأولاد يلعبون... (هنيهة) هيّا، أنا ذاهب للنوم. كل ذلك كان سرابًا.

جسيكا: ما الذي كان سرابًا؟

هودرر (بحركة) كل هذا. وأنتم أيضًا. علينا أن نعمل، هذا كل ما نستطيع. عليك أن تخابر النجّار في القرية، ليأتي فيصلح نافذة المكتب. (ينظر إليه) إنك تبدو متعبًا. يظهر انك ثملت؟ نم، هذه الليلة. لا حاجة بك لأن تأتي قبل الساعة التاسعة.

(يقف. يمشي هوغو خطوة. ترمي جسيكا بنفسها بينهما)

جسيكا: هوغو! هذه هي اللحظة.

هوغو: ماذا؟

جسيكا: لقد وعدتني بأن تقنعه.

هودرر: بأن يقنعني؟

هوغو: اسكتي. (يحاول أن يبعدها. تنتصب أمامه)

جسيكا: أنه ليس على اتفاق معك.

هودرر: (عابثًا) لقد لاحظت ذلك.

جسيكا: يودّ أن يشرح لك.

هودرر: غدًا! غدًا!

جسيكا: غدًا، سيكون قد فات الأوان.

هودرر: لماذا؟

جسيكا: (ما تزال أمام هوغو) انه... يقول إنه... لا يريد بعدُ أن يعمل معك كأمين سر إذا لك تستمع إليه. ان أحدًا منكما لا يرغب في النوم وأمامكما الليل بطوله و. ولقد جابهتما الموت واحسب ان هذا يميل بكما إلى الاتفاق.

هوغو: دعيك من هذا، قلت لك.

جسيكا: هوغو، لقد وعدتني! (لهودرر) يقول انك اشتراكي خائن.

هودرر: اشتراكي خائن! ليس إلّا هذا!

جسيكا: << موضوعيًا >>. لقد قال: << موضوعيًا >>.

هودرر: (مغيرًا لهجته، وتعبير وجهه) حسنًا. إذن، قل لي يا صديقي ما الذي تكنّه في صدرك ما دمنا لا نستطيع أن نمنع ذلك. ينبغي أن أنهي هذه القضية قبل أن أذهب للنوم لماذا أنا خائن؟

هوغو: لأنه ليس من حقك أن تجرّ الحزب في مؤامراتك.

هودرر: ولم لا؟

هوغو: انه منظمة ثوريّة، وانت ستجعل منه حزب حكومة.

هودرر: إنما جُعلت الأحزاب الثورية لتتولى الحكم.

هوغو: لتتولاه، أجل لتستحوذ عليه بقوة السلاح. لا لتشتريه بالمنافع المريبة.

هودرر: أهو الدم الذي تأسف عليه؟ ان ذلك ليؤسفني. ولكن ينبغي أن تعلم اننا لا نستطيع أن نفرض أنفسنا بالقوّة. ففي حالة حرب أهلية، يكون في حيازة << البانتاغون >> السلاح والقادة العسكريون، وبذلك يشكّل اطارًا للجيوش المقاومة للثورة.

هوغو: ومن ذا الذي يتكلم عن الحرب الأهلية؟ اسمع يا هودرر، انني لا أفهم عنك؛ قليل من الصبر يكفي ولقد قلتها أنت نفسك: ان الجيش الأحمر سيطرد الوصي على العرش، وعندها سيكون الحكم لنا وحدنا.

هودرر: وكيف ينبغي لنا أن نعمل لنحتفظ به؟ (هنيهة) انني أؤكد لك أن أمامنا لحظات قاسية علينا أن نمر بها، عندما يجتاز الجيش الأحمر حدودنا.

هوغو: الجيش الأحمر.

هودرر: أجل، أجل. اعرف ما تعني. وأنا أيضًا، انتظره وبنفاد صبر. ولكن ينبغي أن تقول لنفسك: ان جميع الجيوش تتشابه في حالة الحرب، سواء كانت محرّرة أم انها تعيش على نفقة البلاد المحتلة. وسيحتقر فلاحونا الروسَ، هذا أمر محتوم، فكيف تريدهم أن يحبونا، نحن الذين فرضهم الروس فرضًا؟ سوف يدعوننا حزب الاجنبي، أو أسوأ من ذلك. وهكذا ينتقل << البانتاغون >> إلى المقاومة السرّية، ولن يرى نفسه بحاجة حتى إلى تبديل شعاراته.

هوغو: << البانتاغون >>، اني...

هودرر: ثم إن هناك شيئًا آخر: إن البلاد مهدّمة، وربما أصبحت ميدانًا للقتال وأيًا كانت الحكومة التي ستخلف حكومة الوصي، فإن عليها أن تتخذ اجراءات فظيعة تعود عليها بالاحتقار. وفي اليوم الذي يلي رحيل الجيش الأحمر، سوف تكتسحنا فتنة شعبية.

هوغو: أمّا الفتنة فيمكن أن تحطّم، وسنقوم نظامًا حديديًا.

هودرر: نظامٌ حديدي؟ بأية وسيلة؟ وحتى بعد << الثورة >> فان الطبقة العاملة ستبقى أضعف الطبقات وإلى مدة طويلة. نظام حديدي! إزاء حزب برجوازي يقوب بالتخريب، وسكان فلاحين يحرقون محاصيلهم لتجويعنا؟

هوغو: وبعد ذلك؟ لقد عرف الحزب البلشفي حوادث مماثلة عام 17.

هودرر: ولكنه لم يفرض من قبل الاجنبي. والآن اسمع، أيها الصغير، وحاول أن تفهم، سنتسلم الحكم مع احرار كارسكي ومحافظي الوصيّ. فلا مؤامرات ولا معارك، وانما الاتحاد الوطني. ولا يستطيع أحد أن يتهمنا بأننا فُرضنا من الاجنبي لقد طالبت بنصف الأصوات في << هيئة المقاومة >>، ولكنني لن ارتكب حماقة المطالبة بنصف الحقائب الوزارية. أقليّة، هذا ما علينا أن نكونه. أقليّة تترك للأحزاب الأخرى مسؤولية الاجراءات غير الشعبية، وتكسب الشعبية وهي تعارض داخل الحكومة. وبذلك يضيّق عليهم الخناق،

حتى إذا مضى عامان رأيت افلاس السياسة الحرّة وإذ ذلك ستطلب إلينا البلاد بأسرها أن تقوم بتجربتنا.

هوغو: وفي تلك اللحظة يكون الحزب قد انهار.

هودرر: ينهار؟ لماذا؟

هوغو: ان الحزب ذو منهاج: هو تحقيق اقتصاد اشتراكي، ووسيلة: هي استخدام نضال الطبقات. أما أنت فتستغله لاقامة سياسة تعاون بين الطبقات في إطار اقتصاد رأسمالي. وهكذا ستكذب خلال سنوات، ستحتال، ستصطنع طبع الذئاب، وستنتقل من مساومة إلى مساومة؛ وسوف تدافع أمام رفاقنا عن اجراءات رجعية اتخذت من قبل حكومة تشترك أنت فيها. ان أحدًا لن يفهم: أما الأشداء فسيتخلون عنّا، وأما الآخرون فسيفقدون الثقافة السياسية التي حَصلوا عليها. ولسوف نُعدى ونرتخي ونضل الطريق؛ ولسوف نصبح اصلاحيين وقوميين؛ ولن يبقى للأحزاب البورجوازية، إلا أمر تصفيتنا. هودرر! إن هذا الحزب حزبك، ولا يمكنك أن تنسى المشاق التي عانيتها في سبيل خلقه، ولا التضحيات التي كان لا بدّ من بذلها، ولا النظام الذي وجب فرضه. أرجوك: لا تضحِّ به بيديك الاثنتين.

هودرر: يا لهذه الثرثرة! إن كنت لا تريد أن تجازف، فينبغي أن لا تتعاطى السياسة.

هوغو: لا أريد أن اتحمل هذه المجازفات بالذات.

هودرر: حسنًا: إذن كيف لنا أن نحتفظ بالحكم؟

هوغو: ولماذا نتسلمه؟

هودرر: هل أنت مجنون؟ ان جيشًا اشتراكيًا سيحتل البلاد، وستدعه يغادرها من غير أن تفيد من معونته؟ إنها فرصة لن تسنح بعد أبدًا: أقول لك إننا لسنا من القوة بحيث نقوم وحدنا بالثورة.

هوغو: ينبغي ألا نشتري الحكم بهذا الثمن.

هودرر: ماذا تريد أن تجعل من الحزب؟ اصطبلًا لجياد السباق؟ وماذا يفيدنا أن نشحذ سكينًا كلّ يوم ان لم نستعملها أبدًا للقطع؟ ان حزبًا ما ليس أبدًا إلا وسيلة. وليس هناك إلا هدف واحد: الحكم.

هوغو: بل ليس هناك إلا هدف واحد: هو أن نحقق الفوز لمبادئنا جميع مبادئنا، وليس إلاها.

هودرر: صحيح: إنك أنت من حملة المبادئ. ولكنك ستبرأ منها.

هوغو: أتظن انني الوحيد الذي يحمل مبادئ؟ أليس من أجل المبادئ قضى اصدقاؤنا، أولئك الذين قتلتهم شرطة الوصي؟ أتعتقد أننا لن نخونهم، إذا استخدمنا الحزب لنفرج عن قاتليهم؟

هودرر: انني لا آبه للموتى، فقد ماتوا في سبيل الحزب؟ وبوسع الحزب أن يقرّر ما يشاء. إنما أنا أسلك سياسة الاحياء ومن أجل الأحياء.

هوغو: أو تحسب أن الأحياء سيقبلون مؤامراتك؟

هودرر: سنجرعهم إياها رويدًا رويدًا.

هوغو: بالكذب عليهم؟

هودرر: بالكذب عليهم أحيانًا.

هوغو: أنت... أنت تبدو على غاية الصدق والصلابة ومن غير الممكن أن تقبل الكذب على الرفاق.

هودرر: لماذا؟ إننا في حالة حرب، وليس من العادة ان نجعل الجنديّ يقف ساعة إثر ساعة على مجرى العلميات.

هوغو: هودرر، انني ... انني اعلم أكثر منك ما هو الكذب، وقد كان الجميع في كنف والدي، يكذبون فيما بينهم، وكانوا يكذبون عليَّ. وأنا لا اتنفس إلّا منذ دخلت الحزب. وللمرّة الأولى رأيت رجالًا لا يكذبون على الآخرين. فإن كلا منهم يستطيع أن يثق بالجميع، والجميع يستطيعون أن يثقوا بكل منهم، وان أكثر المناضلين فتورًا يشعر بأن اوامر القادة تكشف له عن ارادته العميقة، حتى إذا ما جابه مهمة عسيرة كان يعرف لماذا يقتبل الموت. انك لن...

هودرر: ولكن عمّ تتكلّم؟

هوغو: عن حزبنا.

هودرر: عن حزبنا؟ ولكننا لم نوفّر عليه الكذب دائمًا، كما هو الشأن في كل مكان. وأنت يا هوغو، هل أنت واثق من انك لم تكذب على نفسك يومًا، وانك لم تكذب يومًا ما، وأنك لا تكذب في هذه الدقيقة بالذات؟

هوغو: أنا لم أكذب يومًا على الرفاق. أنا... ما جدوى النضال من أجل تحرير البشر، إذا بلغ ازدراؤنا إياهم بحيث نحشو رؤوسهم بالنفاق؟

هودرر: سوف اكذب كلما اقتضى الأمر ذلك؟ وأنا لا احتقر أحدًا. والكذب؛ لست أنا الذي اخترعته: فقد ولد في مجتمع مقسم إلى طبقات، ولقد ورثه كل واحد منّا وهو يولد. ونحن لن نقضي على الكذب، بمجرّد رفضنا أن نكذب، بل باستخدام جميع الوسائل لالغاء الطبقات.

هوغو: ليست الوسائل جميعها صالحة.

هودرر: بل ان جميع الوسائل صالحة حين تكون ناجعة.

هوغو: إذا كان الامر كذلك فبأي حق تشجبون سياسة الوصي؟ لقد أعلن الحرب على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية لأنها كانت أنجع وسيلة للحفاظ على الاستقلال القومي.

هودرر: وهل تتصور انني أشجبها؟ لقد فعل ما يفعله أي فرد من طغمته لو كان محله. إننا لا نناضل ضد رجال معينين، أو ضد سياسة ما، بل ضد الطبقة التي تنتج هذه السياسة وهؤلاء الرجال.

هوغو: وقد كانت خير وسيلة وجدتموها للنضال ضد هذه الطبقة، هي أن تمنحوها اقتسام الحكم معكم، أليس كذلك؟

هودرر: تمامًا. إنها اليوم خير وسيلة. (هنيهة) ما أشد حرصك على طهارتك يا صغيري! وما أشد خوفك من أن تقذِّر يديك. حسنًا، ابق طاهرًا إذا شئت! من ذا الذي يفيد من ذلك؟ ولمَ تراك جئت إلينا؟ ان الطهارة هي فكرة الدراويش والرهبان. اما انتم معشر المثقفين، والفوضويين البورجوازيين، فإنما تتذرعون بها حتى لا تؤدوا عملًا ما. لا تفعلون شيئًا، تبقون بلا حراك تظلون هكذا مكتوفي اليدين، ترتدون القفازات. أمّا أنا، فان يديّ قذرتان، حتى المرفقين. لقد غمستهما بالغائط وبالدم. اتتخيل بعد ذلك أنه بالامكان ممارسة الحكم بصورة بريئة؟

هوغو: لعل الناس يتبينون يومًا، انني لا أخاف الدم.

هودرر: حقًا: قفازات حمراء، يا للأناقة! ما يخيفك انما هو الباقي. ان هذا هو الذي يفغم أنفك الارستوقراطي الصغير برائحة النتن.

هوغو: ها نحن قد عدنا إلى النغمة نفسها: انني أرستقراطي، شخص ما عرف الجوع أبدًا! ولسوء حظك، فأنا لست الوحيد الذي يرى هذا الرأي.

هودرر: لست الوحيد؟ لقد كنت تعرف إذن شيئًا عن مفاوضاتي قبل مجيئك إلى هنا؟

هوغو: كـ ... كلا. لقد تحدثنا عن ذلك بشكل عارض في الحزب ولم تكن معظم الأعضاء على وفاق معك. وباستطاعتي ان اقسم لك انهم لم يكونوا ارستقراطيين.

هودرر: ان هناك سوء تفاهم يا صغيري: إنني أعرفهم، رفاقنا في الحزب، أولئك الذين ليسوا على وفاقٍ معي في السياسة. وأنا استطيع أن أقول لك إنهم من طينتي، وليسوا من طينتك ولن تلبث طويلًا حتى تكتشف ذاك. وان هم استنكروا هذه المفاوضات، فلأنهم يرونها في غير وقتها، ولو كانوا في غير هذه الظروف اذن لكانوا أول من يباشرها. أمّا أنت، فأنك تجعل منها قضية مبادئ.

هوغو: من ذا الذي تكلم عن المبادئ؟

هودرر: ألا تجعل منها قضية مبادئ؟ حسنًا. إذن فهذا هو الذي ينبغي أن يقنعك: إذا نحن تعاونّا مع الوصي، فإنه يقف الحرب؛ وان الجيوش الايليرية تنتظر طائعة أن يأتي الروس فيجردوها من سلاحها؛ أمّا إذا قطعنا المباحثات، فهو مدركٌ أنه ضائع وسوف يقاتل ككلب مهتاج، وسيفقد مئات الألوف من البشر حياتهم في تلك المعارك. ما تقول في ذلك؟ (صمت) هيه؟ ما تقول في ذلك؟ أتستطيع أن تمحو مئة ألف رجل بجرّة قلم؟

هوغو: (بجهد) إن الثورة لا تنهض على الزهور. فإذا وجب عليهم البقاء فيها...

هودرر: إذن؟

هوغو: إذن فليموتوا!

هودرر: أترى! أترى جيدًا كيف انك لا تحبّ البشر يا هوغو؟ انك لا تحب إلا المبادئ.

هوغو: البشر؟ لماذا تريد أن أحبّهم؟ أتراهم هم يحبونني؟

هودرر: إذن لماذا اتيت إلينا؟ إذا لم نحب البشر، فاننا لا نستطيع أن نناضل من أجلهم.

هوغو: لقد انتسبت إلى الحزب لأن قضيته عادلة، وسأخرج منا إذا ما كفت قضيته عن أن تكون عادلة. أما البشر، فان الذي يهمني ليس ما هم عليه وانما ما قد يصبحون.

هودرر: أما أنا، فانني أحبّهم لما هم عليه. احبهم بكل ما هم فيه من قذارة وعيوب. احب اصواتهم وايديهم الحارّة التي تصافح، وجلدهم اعرى الجلود، ونظرتهم الحائرة، ونضالهم اليائس الذي يسوقونه كلّ بدوره، ضد الموت وضد القلق. ان رجلًا واحدًا ينقص من هذا العالم أو يزيد فيه، له وزنه في نظري. انه ثمين. أما أنت يا صغيري فاني أعرفك حق المعرفة؛ انك لهدّام. أنت تزدري البشر لأنك تزدري نفسك؛ ان طهارتك تشبه الموت، والثورة التي تحلم بها ليست ثورتنا: انك لا تريد أن تغيّر العالم، بل تريد أن تنسفه.

هوغو: (ينهض) هودرر!

هودرر: ليس الذنب ذنبك: انكم جميعًا متشابهون. ان المثقف ليس ثوريًا حقيقيًا؛ انه لا يصلح إلّا ليكون قاتلًا.

هوغو: قاتل. أجل!

جسيكا: هوغو!

(تقف بينهما. صرير مفتاح في القفل. يفتح الباب فيدخل جورج وسليك)

المشهد الرابع

الممثلون أنفسهم، سليك وجورج

جورج: هذا أنت؟ كنا نبحث عنك في كل مكان.

هوغو: من أعطاكم مفتاحي؟

سليك: ان معنا مفاتيح الأبواب جميعها. ألسنا من الحرس؟

جورج: (لهودرر) لقد أخفتنا كثيرًا. لقد استيقظ سليك فلم يجد هودرر. ان عليك أن تخبرنا حين تخرج لاستنشاق الهواء الطلق.

هودرر: لقد كنتما نائمين...

سليك: (مبهوتًا) وإذن؟ متى حدث ان تركتنا نائمين، حين تكون لك رغبة بايقاظنا؟

هودرر: (ضاحكًا) حقًا، ما الذي انتابني؟ (هنيهة) انني عائدٌ معكما. إلى الغد يا صغيري. إلى الساعة التاسعة. سنتحدث عن كل هذا مرة أخرى (هوغو لا يجيب) إلى اللقاء يا جسيكا.

جسيكا: إلى الغد، يا هودرر. (يخرجون).

المشهد الخامس

جسيكا، هوغو

(صمت طويل)

جسيكا: إذن؟

هوغو: لقد كنت ههنا وسمعت.

جسيكا: ما هو رأيك؟

هوغو، ماذا تريدين أن يكون رأيي؟ لقد قلت لك إنه صينيّ!

جسيكا: لقد كان على حق يا هوغو.

هوغو: يا مسكينتي جسيكا! كيف يمكنك أن تدركي ذلك؟

جسيكا: وأنت ما يدريك من ذلك؟ لم تخض معه جدالًا مفحمًا.

هوغو: حقًا! لقد كان النقاش في صالحه. وقد كنت أودّ أن يتطارح مع لويس؛ إذن لما استطاع أن ينجو منه بهذه السهولة.

‴

جسيكا: من يدري؟ بل لعلّه كان يضعه في جيبه.

هوغو: (ضاحكًا) ها! لويس! انك لا تعرفينه: فهو لا يمكن أن يخطئ.

جسيكا: ولماذا؟

هوغو: لأنه. لأنه لويس.

جسيكا: هوغو! انك تتكلم خلافًا لما في قلبك. لقد نظرت إليك بينا كنت تناقش هودرر. لقد اقنعك.

هوغو: لم يقنعني. ولا أحد يستطيع أن يقنعني بأنّ من الواجب الكذب على الرفاق. ولكن لو كان اقنعني، إذن لتوفرت حجة أخرى بضرورة صرعه لأن هذا يبرهن أن بامكانه أن يقنع آخرين. غدًا صباحًا سأنجز العمل.

ستـــــار

الفصل السادس

مكتب هودرر

(مقبضا النافذة المنزوعان، وقد اسندا إلى الجدار. شظايا الزجاج قد كنست. النافذة قد اخفيت بغطاء يتدلى حتى الأرض، وثبت بدبابيس).

المشهد الأول

هودرر ثم جسيكا

(في مقدم المسرح، هودرر واقفًا أمام الموقد يعد القهوة وهو يدخن الغليون. يقرع الباب ويمر سليك رأسه من فتحته).

سليك: هناك الصغيرة تريد أن تراك.

هودرر: كلّا.

سليك: تقول انها مسألة هامة جدًّا.

هودرر: حسنًا. فلتدخل. (تدخل جسيكا ويختفي سليك) ماذا؟ (تسكت) اقتربي. (تبقى أمام الباب وشعرها متناثر على وجهها. يمشي نحوها) احسب ان لديك ما تقولينه لي؟ (تومئ برأسها ايجابًا) إذن قوليه واذهبي.

جسيكا: انك دومًا على عجل...

هودرر: انني أعمل.

جسيكا: لم تكن تعمل، بل كنت تعد القهوة. هل استطيع أن أحصل على فنجان؟

هودرر: نعم. (هنيهة) وإذن؟

جسيكا: لا بدّ من أن تدع لي قليلًا من الزمن. إن من الصعوبة بمكان أن احدثك. إنك تنتظر هوغو وهو لم يبدأ بعد بالحلاقة.

هودرر: حسنًا. أمامك خمس دقائق لتستعيدي هدوءك. وهذه هي قهوتك.

جسيكا: حدثني.

هودرر: هيه؟

جسيكا: لكي استعيد هدوئي. حدثني.

هودرر: ليس لديّ ما أقوله لك ولا أحسن الحديث إلى النساء.

جسيكا: بلى. تحسنه جيدًا.

هودرر: آه! (هنيهة).

جسيكا: مساء أمس...

هودرر: ماذا؟

جسيكا: لقد وجدت أنك أنت الذي كنت على حقّ.

هودرر: على حق؟ آه! (هنيهة) اشكرك فأنت تشجعينني.

جسيكا: إنك تهزأ مني.

هودرر: نعم. (هنيهة).

جسيكا: ما تفعلون بي إذا انتسبت إلى الحزب؟

هودرر: ليُسمح لكِ أولًا بالانتساب إليه!

جسيكا: ولكن إذا سمح لي بان انتسب إليه، فماذا تراكم فاعلين بي؟

هودرر: هذا ما اتساءل عنه. (هنيهة) أهذا ما أتيت لكي تقوليه لي؟

جسيكا: كلّا.

هودرر: إذن؟ ماذا هناك؟ هل تخاصمت مع هوغو وتريدين الرحيل؟

جسيكا: لا. هل يزعجك أن أرحل؟

هودرر: بل يسعدني. فان بوسعي أن أعمل بهدوء.

جسيكا: انك لا تعني ما تقول.

هودرر: اتظنين؟

جسيكا: نعم. (هنيهة) حين دخلت علينا مساء أمس، كنت تبدو متوحّدًا.

هودرر: وما معنى ذلك؟

جسيكا: جميل هو الرجل إذ يكون وحيدًا.

هودرر: جميل جدًا، حتى تساورنا الرغبة حالًا لمرافقته. وسرعان ما يكفّ عن أن يكون وحيدًا: ان العالم قد أسيء صنعه!

جسيكا: اوه! انك تستطيع معي أن تبقى وحيدًا تمامًا. فانا لست مربكة.

هودرر: معك؟

جسيكا: هذا أسلوب في الكلام. (هنيهة) هل كنت متزوجًا؟

هودرر: نعم.

جسيكا: امرأة من الحزب؟

هودرر: لا.

جسيكا: كنت تقول انه ينبغي الزواج دائمًا بنساء منتسبات للحزب.

هودرر: تمامًا.

جسيكا: هل كانت جميلة؟

هودرر: كان ذلك يختلف حسب الأيام والآراء.

جسيكا: وأنا، هل تجدني جميلة؟

هودرر: هل تسخرين مني؟

جسيكا: (ضاحكة) نعم.

هودرر: لقد مرت الدقائق الخمس فتكلمي او فاذهبي.

جسيكا: انك لن تلحق به أذى ما.

هودرر: من تعنين؟

جسيكا: هوغو! انك تشعر له بالصداقة أليس كذلك؟

هودرر: آه! لا محلّ للعواطف. انه يريد أن يقتلني أليس كذلك. أهذه هي قصتك؟

جسيكا: لا تؤذه.

هودرر: ولكن لا، لن أمسه بسوء.

جسيكا: أكنت... أكنت تعلم ذلك؟

هودرر: منذ أمس. بمَ يريد أن يقتلني؟

جسيكا: كيف؟

هودرر: بأيّ سلاح؟ قنبلة، أم بمسدّس، أم بفأس حادّة أم بسيف، أم بسمّ؟

جسيكا: بمسدس.

هودرر: هذا ما افضّله.

جسيكا: حين يأتي هذا الصباح، سيكون حاملًا مسدسه.

هودرر: حسنًا، حسنًا، حسنًا. لماذا تخونينه؟ هل أنت ساخطة عليه؟

جسيكا: كلا. ولكن...

هودرر: ماذا؟

جسيكا: لقد طلب إليّ مساعدته.

هودرر: وبهذه الطريقة تساعدينه؟ إنك لتدهشينني.

جسيكا: انه غير راغب بقتلك. على الاطلاق. انه يحبّك حبًّا بالغًا. غير ان لديه أوامر. وأنا على يقين من أنه سيكون مسرورًا في صميم فؤاده، إذا ما حيل بينه وبين تنفيذها، ولكنه لن يبوح بذلك.

هودرر: هذا ما سنراه.

جسيكا: ما الذي ستفعله؟

هودرر: لست أدري بعدُ.

جسيكا: جرّده من سلاحه برفق بواسطة سليك. ليس لديه إلا مسدس. فاذا ما أخذ منه، انتهى الأمر.

هودرر: كلا. ان هذا ليذلّه. وينبغي الّا نذلّ الناس. انني سوف أكلّمه.

جسيكا: ستدعه يدخل بسلاحه؟

هودرر: ولِمَ لا؟ أريد أن أقنعه. ان هناك خمس دقائق أجازف فيها بحياتي، لا أكثر. فإذا لم يقم بعمله هذا الصباح، فلن يقوم به أبدًا.

جسيكا: (فجأة) أنا لا أريد أن يقتلك.

هودرر: أيسيئك أن أقتل؟

جسيكا: أنا؟ بل ان ذلك ليسعدني؟

(يطرق الباب)

سليك: هذا هوغو.

هودرر: لحظة. (يغلق سليك الباب من جديد) أُهربي من النافذة.

جسيكا: لا أريد أن أتركك.

هودرر: إذا بقيت هنا، فإن من المؤكد أن يطلق النار. انه لا يسعه أن يتراجع بحضورك. اذهبي هيّا (تخرج من النافذة ويسدل الستار عليها) أدخلوه.

المشهد الثاني

هوغو، هودرر

(يدخل هوغو، يمشي هودرر حتى الباب ويرافق هوغو بعد ذلك حتى الطاولة، يظل قريبًا منه، مراقبًا حركاته وهو يحدثه ومستعدًا للقبض على معصم هوغو، إذا ما أراد أن يأخذ مسدسه) **هودرر**: إذن؟ هل نمت جيدًا؟

هوغو: بين بين.

هودرر: هل أنت تعب؟

هوغو: بشكل فظيع.

هودرر: هل أنت مصمّم حقًا؟

هوغو: (منتفضًا) مصمّم علامَ؟

هودرر: لقد قلت لي أمس أنك ستتركني إذا لم تفلح في تحويلي عن رأيي.

هوغو: انني ما أزال على تصميمي.

هودرر: حسنًا. سنرى ذلك عمّا قليل. وبانتظار هذا فلنعمل. اجلس. (يجلس هوغو إلى طاولة عمله) إلى أين وصلنا؟

هوغو: (قارئًا أوراقه) استنادًا إلى أرقام الاحصاء المهني هبط عدد العمال الزراعيين من ثمانية ملايين وسبعمئة وواحد وسبعين الفًا في سنة 1906 إلى...

هودرر: قل لي: أتعلم ان الذي رمى المفرقعة امرأة؟

هوغو: امرأة؟

هودرر: لقد لاحظ سليك أثرها في حاشية الحديقة. هل تعرفها؟

هوغو: وكيف لي أن أعرفها؟

(صمت)

هودرر: أليس هذا غريبًا؟

هوغو: جدًا.

هودرر: يبدو أنك لا ترى ذلك غريبًا. ما بك؟

هوغو: انني مريض.

هودرر: أترغب في أن أعفيك من العمل قبل الظهر؟

هوغو: كلا. فلنعمل.

هودرر. اعد إذًا هذه الجملة. (ويعود هوغو إلى أوراقه ويقرأ من جديد) **هوغو**: << استنادًا إلى أرقام الاحصاء... >> (يبدأ هودرر في الضحك. يرفع هوغو رأسه فجأة) **هودرر**. هل تدري لماذا أخطأتنا؟ أراهن انها رمت المفرقعة وهي مغمضة العينين.

هوغو: (بشرود) لماذا؟

هودرر: بسبب الضجيج. انهن يغمضن أعينهن حتى لا يسمعن. فسر هذا كما تستطيع. انهن يخفن الضجيج جميعًا. هذه الفئران. ولولا ذلك لأصبحن قاتلات ماهرات. إنهن يعتمدن على الآخرين، أفاهم أنت؟ يتلقين الأفكار مصنوعة ناجزة، فيؤمن بها إيمانهن بالله تمامًا. أما نحن فأقل يسرًا علينا ان نطلق الرصاص على رجل ما من أجل مبادئ، ذلك لأننا نحن الذين نصنع الأفكار ونعرف كيف طبخت: فلسنا على يقين أبدًا أننا محقون كل الحق. هل أنت على يقين من انك محق أنت؟

هوغو: على يقين.

هودرر: أيًا ما كان، فليس يمكنك أن تصبح قاتلًا. انها قضية ميل طبيعي.

هوغو: ان أيًا منا يستطيع أن يقتل إذا أمره الحزب.

هودرر: إذا أمرك الحزب بأن ترقص على حبل مشدود، فهل تعتقد أن باستطاعتك القيام بذلك؟ انما المرء قاتل بالولادة. أمَّا أنت، فإنك تفكر أكثر مما ينبغي: انك لا تستطيع.

هوغو: أستطيع لو عزمت على ذلك.

هودرر: أتستطيع أن تعدمني الحياة باطلاقك ببرودة رصاصة بين عينيّ لأنني لست من رأيك في السياسة؟

هوغو: نعم، إذا عزمت على ذلك أو إذا أمرني الحزب به.

هودرر: انك تدهشني. (يحاول هوغو أن يدخل يده في جيبه ولكن هودرر يقبض عليها ويرفعها بهدوء إلى ما فوق الطاولة) افرض ان هذه اليد تمسك بمسدس، وان هذا الاصبع موضوع على الزناد...

هوغو: اترك يدي.

هودرر: (من غير أن يتركه) افرض أنني أمامك تمامًا كما أنا الآن، وانك تسدّد إليّ...

هوغو: دعني ولنعمل.

هودرر: تنظر إليّ وفي اللحظة التي تعزم فيها على الاطلاق تفكر: << وإذا كان الحق في جانبه هو؟ >> أتدرك ذلك؟

هوغو: لن أفكر في ذلك. انني لن أفكر في شيء إلا في القتل.

هودرر: بل ستفكر في ذلك: لا بدّ للمثقف من التفكير. فقبل ان تضغط الزناد فستكون قد رأيت جميع العواقب المحتملة لعملك: انهيار جهد حياة برمته، وسياسة مطروحة في الارض، وليس ثمة أحد يمكنه أن يخلفني، وقد يحكم على الحزب نهائيًا بألا يتسلم الحكم...

هوغو: أقول لك بأنني لن افكر في ذلك!

هودرر: لن تستطيع الامتناع عن ذلك. وهذا أفضل لأنك ان لم تفكر في ذلك قبل، وانت ما أنت عليه، فلن تكفيك حياتك برمتها لأن تفكر فيه بعد (هنيهةٌ)، ما الذي يعصف بكم جميعًا لتمثلوا دول القتلة؟ انهم أشخاص لا خيال لهم: سيّان لديهم ان يهبوا الموت ما داموا خالين من أية فكرة عمّا هي الحياة. إني اوثر أولئك الناس الذي يخافون موت الآخرين: فذلك دليل على انهم يعرفون كيف يحيون.

هوغو: انني لم اخلق لأعيش، ولست أعرف ما هي الحياة، وليست بي حاجة لأعرف ذلك. إنما انا شيء فائض عن الحياة، وليس لي من مكان. وانا ازعج جميع الناس. لا أحد يحبني، ولا أحد يثق بي.

هودرر: انا اثق بك...

هوغو: أنت؟

هودرر: بكل تأكيد. انك طفل صغير يصعب عليه ان ينتقل من الطفولة إلى الرجولة ولكنك ستصبح رجلًا ذا قيمة إذا ما سهل أحد لك هذا الانتقال. فاذا نجوت من مفرقعاتهم، فسأحتفظ بك إلى جانبي وسأعينك.

هوغو: لماذا تقول ذلك لي؟ لماذا تقوله لي اليوم؟

هودرر: (تاركًا إياهّ) لأبرهن لك فقط أنه لا يمكن للمرء أن يستهدف رجلًا ببرودة إلا إذا كان من الاخصائيين.

هوغو: إذا صممت على ذلك، فينبغي أن استطيع القيام به (كما لو أنه يكلم نفسه بشيء من اليأس) ينبغي ان استطيع القيام به.

هودرر: أيمكنك أن تقتلني بينما أنا انظر إليك؟ (يتبادلان النظر. يبتعد هودرر عن الطاولة ويتراجع خطوة). إن ما يجول في الرؤوس لا يخطر لحظة واحدة في بال القتلة الحقيقيين. وانت تعرف ذلك: هل تستطيع أن تحتمل ما قد يجول في رأسي، إذا رأيتك تصوب إليّ، (هنيهة يستمر في النظر) أتريد قهوة؟ (هوغو لا يجيب). انها معدّة! سأعطيك منها فنجانًا. (يولي هوغو ظهره ويصب القهوة في فنجان. ينهض هوغو ويضع يده في الجيب التي تحتوي المسدس. يبدو انه يصارع نفسه. وبعد هنيهة ينفتل هودرر ويعود على مهل نحو هوغو وهو يحمل فنجانًا ممتلئًا يمده له). خذ. (يأخذ هوغو الفنجان). والآن اعطني مسدّسك. هيّا هاته: انك ترى جيدًا انني اتحت لك فرصتك وانك لم تغتنمها. (يدخل يده في جيب هوغو ويخرجها مع المسدس) ولكنه دمية صغيرة؟

(يمشي نحو مكتبه ويلقي عليه المسدس)

هوغو: اني امقتك (يعود هودرر نحوه).

هودرر: ولكن لا، انك لا تمقتني. ولأي سبب تمقتني؟

هوغو. انك تعتبرني جبانًا.

هودرر: لماذا؟ انك لا تعرف ان تقتل، ولكن ليس في هذا دليل على انك لا تعرف أن تموت. بل على العكس.

هوغو. كان اصبعي على الزناد.

هودرر: نعم.

هوغو: ولم... (حركة عجز)

هودرر: نعم. قلته لك. ان ذلك اقسى مما نتصوّر.

هوغو: كنت اعرف انك اوليتني ظهرك عن عمد. ولهذا السبب لم...

هودرر. أوه! على اي حال...

هوغو: لست خائنًا!

هودرر: ومن يكلّمك عن هذا. وإن الخيانة أيضًا، هي قضية ميل طبيعي.

هوغو: أمّا هم، فسيعتقدون انني خائن لانني لم اقم بما عهدوا إليّ فيه.

هودرر: من هم. (صمت) ايكون لويس هو الذي أوفدك (صمت) اراك لا تريد ان تقول شيئًا: هذا أمرٌ طبيعي. (هنيهة) اسمع: ان مصيرك مشدود الى مصيري. فمنذ أمس حصلت على اوراق رابحة في لعبتي وسأحاول ان انقذ جلدينا معًا. انني ذاهبٌ غدًا الى المدينة لأتحدث مع لويس. انه صلب، ولكنني مثله انا أيضًا. وإن بالامكان اصلاح الامور مع رفاقك. ولكن أصعب ما في القضية ان تصلح الامر مع نفسك.

هوغو: صعب. بل سأصلحه بسرعة فما عليك إلّا ان تعيد لي المسدس.

هودرر: كلا.

هوغو: وماذا يضيرك إن اطلق رصاصة على نفسي؟ انني عدوك.

هودرر: إنك أولًا لست عدوّي. ويمكنك بعدُ ان تؤدي خدمات.

هوغو: انت تعرف جيدًا ان امري قد انتهى.

هودرر: ما اشدّ ما تبالغ! لقد شئت ان تبرهن لنفسك انك قادر على العمل وقد اخترت الطرق الصعبة: كما يفعل الذين يريدون استحقاق الجنة، هذا طبيعيّ في سنك. انك لم تنجح! حسنًا، وبعد ذلك؟ لا شيء هناك يقتضي البرهان، فالثورة – كما تعلم – ليست قضية استحقاق ولكنها قضية فعالية ناجعة، وليست هناك جنة، إن كل ما هنالك عمل ينبغي ان يؤدي وعلى المرء أن يعمل ما هو مهيأ له: فاذا كان سهلًا فنعما هو. ليس خير الأعمال ما يكلفك اكثر وإنما خيرها ما تصيب فيه نجاحًا أوفر.

هوغو: لستُ مهيأ لعمل ما.

هودرر: بل انت مهيأ للكتابة.

هوغو: للكتابة! كلمات! دائمًا كلمات!

هودرر: ولِمَ لا؟ الربح ضروري. وصحفيّ ناجح خير من قاتل فاشل.

هوغو: (مترددًا ولكن بلهجة من ثقة) حين كنت في سني يا هودرر...

هودرر: ماذا؟

هوغو: ما الذي كنت تفعله لو كنت في وضعي؟

هودرر: انا؟ كنت اطلقت الرصاص. ولكن ذلك ما كان يكون خير ما افعله. ثمّ إننا لسنا من طينة واحدة.

هوغو: وددت لو كنت من طينتك: فلا بدّ لمن كان كذلك ان يشعر بالاطمئنان.

هودرر: أتظنّ؟ (ضحكة مقتضبة) سأحدثك عن نفسي ذات يوم.

هوغو: ذات يوم؟ (هنيهة) لقد فوّتُ عليّ الفرصة يا هودرر وانا اعرف الآن انني لن استطيع ابدًا ان اطلق عليك لأنك... لأنك أثير عندي. ولكن ينبغي الّا تنخدع في ذلك: فانني لن اكون ابدًا على وفاق معك في ما ناقشناه مساء أمس. انني لن اكون ابدًا من انصارك، ولست أريد ان تدافع عني. لا غدًا ولا في ايّ يومٍ آخر.

هودرر: كما تشاء.

هوغو: والآن أستأذنك في أن أغادرك. اني اودّ ان افكر في هذه القصة كلها.

هودرر: أتقسم لي بأنك لن ترتكب أية حماقة قبل ان تراني ثانية؟

هوغو: اذا شئتَ أقسمت.

هودرر: اذهب، اذن. اذهب فاستنشق الهواء وعد حالما تستطيع، ولا تنسَ انك امين سرّي. ستظل تعمل معي، ما لم تستهدفني بالأذى او لم اسرّحك. (يخرج هوغو).

هودرر: (يتجه إلى الباب) سليك.

سليك: ماذا؟

هودرر: ان الصغير في همّ. راقبوه من بعيد، وإذا لزم الامر، امنعوه من ان يقذف نفسه في الفضاء. ولكن على مهل. وإذا كنت له رغبة في العودة إلى هنا بعد قليل، فلا توقفوه بحجّة الاعلان عن مجيئه. ليذهب وليأتِ كما يروق له: وحذار خصوصًا من اثارة اعصابه.

المشهد الثالث

جسيكا، هودرر

(يغلق الباب، ويعود إلى الطاولة التي عليها الموقد ويصب لنفسه فنجانًا من القهوة. جسيكا تزيح الستار الذي يخفي النافذة وتبرز) **هودرر**: أهذه أنت ثانيةً، أيتها السُمّ؟ ماذا تريدين؟

جسيكا: كنت جالسة على حافة النافذة وقد سمعت كل شيء.

هودرر: وبعد ذلك؟

جسيكا: خفت.

هودرر: لم يكن لك الّا ان تذهبي.

جسيكا: لم اكن لأستطيع أن أترككما.

هودرر: ما كان حضورك لينجدنا كثيرًا.

جسيكا: اعرف ذلك. (هنيهة) ربمّا كان في وسعي ان أرتمي امامك فأتلقى الرصاص بدلًا عنك.

هودرر: ايّة بطلة روائية انت.

جسيكا: وانت أيضًا.

هودرر: ماذا؟

جسيكا: انت أيضًا بطل روائي: لقد جازفت بحياتك حتى لا تذله.

هودرر: ينبغي المجازفة بها من قت إلى آخر، إذا شئنا أن ندرك ثمنها.

جسيكا: لقد كنت تعرض عليه مساعدتك ولم يكن يريد قبولها، فلم يثبطك هذا وكان يبدو عليك انك تحبّه.

هودرر: وبعد ذلك؟

جسيكا: لا شيء. هذا ما كان. انه كل شيء. (يتبادلان النظر) **هودرر**: اغربي! (لا تتحرك) اسمعي يا جسيكا، انني لم اعتد ان ارفض ما يقدّم لي، وهذه ستة أشهر تمضي من غير امسّ امرأة. ما زال في وسعك أن تذهبي، ولكن بعد خمس دقائق، يفوت الأوان. أتسمعينني؟ (لا تتحرك) ليس لهذا الصغير احد سواك في العالم، وإنه لجدير به ان يرتكب اسوأ الحماقات. انه بحاجة إلى من يردّ له شجاعته.

جسيكا: ان بوسعك انت. ان تردّ له شجاعته. لا انا. إننا لا نفعل إلّا أن نسيء إلى بعضنا.

هودرر: ولكنكما متحابان.

جسيكا: ولا هذا. إننا متشابهان اكثر مما ينبغي. (هنيهة) **هودرر**: متى كان ذلك؟

جسيكا: ماذا؟

هودرر: (بحركة) كل هذا. كل هذا في رأسك؟

جسيكا: لا أدري. بالامس على ما اظن، حين كنت تنظر إلي وكان يبدو عليك أنك وحيد.

هودرر: لو علمت ذلك.

جسيكا: أما كنت أتيت؟

هودرر: انني (ينظر إليها ويهز كتفيه. هنيهة) اذا كانت نفسك تنازعك إلى شيء، فان سليك وليون هناك للترفيه عنك. لِمَ تراك اخترتني؟

جسيكا: ان نفسي لا تنازعني إلى شيء، ولم أختر احدًا. لم تكن بي حاجة للاختيار.

هودرر: انك تزعجينني. (هنيهة) ولكن ماذا تنتظرين؟ ليس لديّ وقت لأهتمّ بك. واحسبك بعد لا تريدين ان أقلبك على هذا المقعد وأن اتركك بعد ذلك.

جسيكا: احزم أمرك.

هودرر: عليك مع ذلك ان تعلمي...

جسيكا: لا أعلم شيئًا، لست امرأة ولا فتاة. لقد عشت في حلم. وحين كانوا يقبلونني كنت اشعر برغبة في الضحك. اما الآن فأنا هنا أمامك، ويخيّل إليّ انني استيقظت منذ هنيهة وانه الصباح. إنك حقيقي. رجل حقيقي من لحم ودم، واني لاخاف منك حقًا واعتقد انني احبك حقًا. افعل بي ما تشاء، ومهما حدث، فلن انكر عليك شيئًا.

هودرر: حين يقبلونك، تشعرين برغبة في الضحك؟ (تتضايق جسيكا فتطرق). أليس كذلك؟

جسيكا: نعم.

هودرر: إذن فأنت باردة؟

جسيكا: هذا ما يقولونه؟

هودرر: وأنت، ما رأيك في ذلك؟

جسيكا: لست أدري.

هودرر: لنرَ... (يقبلها) ماذا تقولين؟

جسيكا: ان هذا لم يشعرني برغبة في الضحك.

(يفتح الباب، فيدخل هوغو)

المشهد الرابع

هودرر، هوغو، جسيكا

هوغو: هو ذاك إذن؟

هودرر: هودرر...

هوغو: حسنًا (هنيهة) من أجل هذا وفرتني إذن. لقد كنت أتساءل: لماذا لم يأمر باعدامي أو لماذا لم يوعز لرجاله بان يطردوني؟ وكنت أقول لنفسي؛ لا يمكن أن يكون إلى هذا الحدّ مجنونًا أو كريمًا. ولكن كل شيء يتضح الآن؛ لقد كانت امرأتي هي السبب. انني أوثر هذا.

جسيكا: اسمع ...

هوغو: دعيك من هذا إذن يا جسيكا، دعيك من المعاذير. انني لست حاقدًا عليك، ولست غيورًا؛ ان أحدنا لم يكن ليحب الآخر. ولكنه هو، كاد يوقعني في شركه. >> سأعينك، وسأجعلك تنتقل إلى سنّ الرجال. >> ما كان أغباني! لقد كان يهزأ مني.

هودرر: أتريد يا هوغو، ان أقسم لك انني...

هوغو: ولكن لا تعتذر. بل انني على العكس أشكرك لأنك أتحت لي اللذة مرّة واحدة على الأقل لأشاهدك مرتبكًا. ثم... ثم انك... (يثب نحو الطاولة، فيتناول المسدس ويسدده إلى هودرر) ثم انك قد حرّرتني.

جسيكا: (صارخة) هوغو!

هوغو: أترى إليّ يا هودرر، كيف اني أحدّق إلى عينيك وأصوب عليك، فلا تضطرب يدي واهزأ بما يدور في رأسك.

هودرر: انتظر أيها الصغير! لا ترتكب حماقات. لا ترتكبها من أجل امرأة!

(يطلق هوغو ثلاث رصاصات. تبدأ جسيكا بالصراخ. يدخل سليك وجورج إلى الغرفة) **هودرر**: يا لك من أحمق. لقد أفسدت كل شيء.

سليك: أيها القذر! (يخرج مسدسه)

هودرر: لا تؤذوه. (يسقط على مقعد) لقد أطلق الرصاص بدافع من الغيرة.

سليك: ما معنى ذلك؟

هودرر: كنت أضاجع الصبية (هنيهة) آه! يا لها من حماقة! (يموت)

ستـــــار

الفصل السابع

في غرفة أولغا

مشهد وحيد

(يسمع صوتاهما ليلًا في البدء ثم ينتشر النور بعد ذلك شيئًا فشيئًا).

أولغا: هل هذا صحيح؟ هل قتلته بسبب جسيكا؟

هوغو: لقد... لقد قتلته لأنني فتحت الباب. هذا كلّ ما أعلمه. فلو انني لم أفتح ذلك الباب... كان هناك، وكان يعانق جسيكا، وكان أثر من أحمر الشفاه على ذقنه. كان هذا شيئًا مبتذلًا. لقد كنت أعيش منذ زمن بعيد في المأساة. ولقد أطلق الرصاص لكي أنقذ المأساة.

أولغا: ألم تكن غيورًا.

هوغو: غيور؟ ربما. ولكن ليست هي الغيرة على جسيكا.

أولغا: انظر إلي، وأجبني بصراحة، لأن ما سأسألك إياه على جانب كبير من الأهمية. هل أنت فخور بعملك؟ هل تطلب إعادته؟ وهل تراك تقوم به ثانية إذا كان عليك أن تعيده؟

هوغو: ولكن هل قمت به حقًا؟ لست أنا الذي قتلت، بل المصادفة. لو انني فتحت الباب قبل ذلك بدقيقتين، أو بعده بدقيقتين لما فاجأتهما متعانقين، ولما أطلقت الرصاص. (هنيهة) كنت آتيًا لأقول له انني قبلت معونته.

أولغا: نعم.

هوغو: لقد أطلقت المصادفة ثلاثة عيارات نارية، كما يحدث في الروايات البوليسية الرديئة. ويمكنك مع المصادفة ان تبدئي بالـ >> لو << فلا تنتهين: >> **لو** انني بقيت أمام شجر الكستناء فترةً أطول **لو** انني مضيت حتى بلغت نهاية الحديقة، **لو** انني دخلت الجناح... << ولكن **أنا**، أنا وسط كل هذا، ماذا تراني أصبح؟ انها جريمة من غير قاتل. (هنيهة) لقد كنت أتساءل غالباً وأنا في السجن: ما كانت أولغا تقوله لي لو كانت هنا؟ بمَ تريدين أن أفكر؟

أولغا: (بجفاء). وبعد ذلك؟

هوغو: أوه، انني أعرف تمامًا ما كنت ستقولينه لي. كنت ستقولين لي: >> كن متواضعًا يا هوغو. اننا لنهزأ بحججك ودوافعك. لقد طلبنا إليك ان تقتل هذا الرجل، وقد قتلته. فالنتيجة هي التي عليها المعوّل<<. لست... لست متواضعًا. أولغا. انني أتمكن من التفريق بين القتل ودوافعه.

أولغا: انني أفضل هذا.

هوغو: كيف تفضلين هذا؟ أأنت التي تتكلمين يا أولغا؟ أنت التي كنت تقولين لي دومًا...

أولغا: سأشرح لك ذلك. كم الساعة الآن؟

هوغو: (ناظرًا إلى ساعته) الثانية عشرة إلا الثلث.

أولغا: حسنًا ان لدينا الوقت الكافي. ماذا كنت تقول لي؟ أنك لم تفهم تصرّفك؟

هوغو: بل أظن أنني أفهمه أكثر مما ينبغي. انها علبة تفتحها جميع المفاتيح. فمثلًا >> يمكنني أن أقول لنفسي أيضًا، إذا كان هذا يحلو لي، أنني قتلت بدافع من عاطفة سياسية، وان الغضب الذي انتابني حين فتحت الباب، لم يكن غير الهزّة التي يسرت لي أمر التنفيذ. << **أولغا**: (محدقة إليه في قلق). أتعتقد ذلك يا هوغو؟ أتعتقد حقًا انك أطلقت الرصاص بدوافع نبيلة؟

هوغو: أعتقد كل شيء يا أولغا. حتى إنني لأتساءل إذا كنت قتلته بالفعل.

أولغا: بالفعل؟

هوغو: وعما إذا لم يكن كل شيء تمثيلًا؟

أولغا: ولكنك ضغطت حقًا على الزناد.

هوغو: أجل. لقد حركت اصبعي حقًا. ان الممثلين أيضًا يحرّكون الأصابع على المسرح. انظري مثلًا: اني أحرّك السبّابة، وأصوب إليك. (يصوب إليها بيده اليمنى والسبابة مطوية) انها الحركة نفسها. من الجائز أن لا أكون أنا الشخص الحقيقي. ومن الجائز أن تكون الرصاصة وحدها الحقيقية. لماذا تبتسمين؟

أولغا: لأنك تسهّل عليّ الأمور تسهيلًا كبيرًا.

هوغو: كنت أجد نفسي يافعًا أكثر مما ينبغي، فوددت أن أعلّق جريمة ما في عنقي، كما يعلقون الحجر. وكنت أخشى أن تكون ثقيلة فلا احتملها. ولكني خُدعت: إنها خفيفة، خفيفة جدًا. إنها لا تزن. انظري إلي: لقد شخت، لقد امضيت سنتين في السجن، وانفصلت عن جسيكا، وسأعاني هذه الحياة الغريبة القلقة، حتى يقوم الرفاق بتحريري. إن كل هذا ناتج عن جريمتي، أليس كذلك؟ ومع هذا فانها لا تزن، إنني لا أشعر بها. لا في عنقي ولا على كاهلي، ولا في قلبي. لقد غدت قدري، أتفهمين؟ إنها تقود حياتي من الخارج، ولكنني لا أستطيع أن أراها، ولا أن ألمسها، انها ليست لي، إنها مرض مميت، يقتل من غير أن يؤلم. أين هي؟ هل هي موجودة؟ لقد اطلقت الرصاص مع ذلك. لقد فتح الباب... وكنت أحبّ هودرر وأولغا. كنت أحبه أكثر من أي شخص آخر في العالم... كنت أحب أن اراه وان اسمعه، كنت أحب يديه ووجهه. وكانت جميع عواصفي تهدأ إذ أكون معه. ليست جريمتي هي التي تقتلني، بل هو موته. (هنيهة) وأخيرًا هذا ما عندي. إن شيئًا لم يحدث على الاطلاق. لقد امضيت عشرة أيام في الريف، وسنتين في السجن؛ فلم أتبدل؛ إنني ما زلت ثرثارًا كما كنت. لا بدّ أن القتلة يحملون شارة مميّزة. زهرة منثور في العروة. (هنيهة) حسنًا. وبعد ذلك؟ الخلاصة؟

أولغا: ستعود إلى الحزب.

هوغو: حسنًا.

أولغا: من المفروض أن يعود لويس وشارل في منتصف الليل ليقتلاك. ولكنني لن أفتح لهما. سأقول لهما إنك قابلٌ للاسترداد وصالح للعمل.

هوغو: (يضحك) قابل للاسترداد وصالح للعمل! أية كلمة غريبة. انها تقال عن القاذورات، أليس كذلك؟

أولغا: هل أنت موافق؟

هوغو: ولِمَ لا؟

أولغا: غدًا ستتلقى أوامر جديدة.

هوغو: حسنًا.

أولغا: أف! (ترتمي على كرسي)

هوغو: ما بك؟

أولغا: إنني سعيدة. (هنيهة) لقد تكلمت ثلاث ساعات متواصلة وكنت خائفة طوال الوقت.

هوغو: خائفة ممّ؟

أولغا: مما أنا مضطرة إلى أن أقوله لهما. ولكن كلّ شيء يسير سيرًا حسنًا. ستعود إلينا وستتولى أعمال الرجال.

هوغو: وستساعدينني كالسابق؟

أولغا: أجل يا هوغو سأساعدك.

هوغو: أحبك كثيرًا يا أولغا. فأنت ما زلت كما كنت. نقيّة حقًا، صافية حقًا. انك أنت التي علمتني النقاوة.

أولغا: لقد شخت.

هوغو: كلا. (يمسك بيدها)

أولغا: لقد فكرت بك طوال الوقت.

هوغو: قولي يا أولغا!

أولغا: ماذا؟

هوغو: الطرد، ألست أنت...؟

أولغا: أيّ طرد؟

هوغو: الشوكولا.

أولغا: كلا. لست أنا التي أرسلته. ولكنني كنت أعرف انهم سيرسلونه.

هوغو: وتركتهم يفعلون؟

أولغا: نعم.

هوغو: ولكن ما الذي كنت تعتقدينه في صميمك؟

أولغا: (تريه شعرها) انظر.

هوغو: ماذا؟ شعرات شائبة؟

أولغا: لقد شابت في ليلة واحدة. انك لن تتركني بعد أبدًا. وإذا كان ثمة ضربات قاسية، فسنحتملها معًا.

هوغو: (مبتسمًا) أتذكرين: راسكولنيكوف.

أولغا: (منتفضة) راسكولنيكوف؟

هوغو: انه الاسم الذي اخترته لي للمقاومة السرية. أوه، يا أولغا، انك لا تذكرين بعد.

أولغا: بلى، اذكر.

هوغو: سأستعيده.

أولغا: كلا.

هوغو: لماذا؟ لقد كنت أحبّه كثيرًا. كنت تقولين انّه يلبسني كالقفاز.

أولغا: إنك معروف بهذا الاسم أكثر ممّا ينبغي.

هوغو: معروف؟ ممّن؟

أولغا: (يبدو عليها العياء فجأة) كم الساعة الآن؟

هوغو: إلّا خمس دقائق.

أولغا: اسمع يا هوغو. ولا تقاطعني. إن لديّ ما أقوله لك بعد. شيء غير ذي بال. وينبغي ألّا توليه أهمية ما. سوف... سَتُدْهش بادئ الأمر ولكنك ستفهم رويدًا، رويدًا.

هوغو: ماذا؟

أولغا: انني... انني سعيدة بما حدثتني عنه، فيما يتعلق، بـ ... بتصرّفك... فلو انك كنت فخورًا به، أو حتى راضيًا فقط، لكان يشق عليك أكثر.

هوغو: يشق عليّ؟

أولغا: يشق عليك أن تنساه.

هوغو: أنساه؟ ولكن يا أولغا...

أولغا: إي هوغو! ينبغي لك أن تنساه. إنني لا أطلب إليك أمرًا ذا بال؛ لقد قلت ذلك أنت نفسك. إنك لا تعرف ما الذي فعلته ولا لماذا فعلته. بل أنت لست متأكدًا من انك قتلت هودرر. حسنًا. إنك في الطريق القويم؛ وينبغي أن تمضي قُدُمًا، هذا كل ما في الأمر. إنْسَه، فليس هو الا كابوسًا. ولا تتحدث عنه أبدًا بعد الآن؛ حتى ولا لي. ان هذا الشخص الذي قتل هودرر قد مات. كان يدعى راسكولنيكوف، لقد سُمّم بالشوكولا المحشوّة بالشراب. (تداعب شعره) وسأختار لك اسمًا آخر.

هوغو: ماذا الذي حدث يا أولغا؟ ماذا فعلتم؟

أولغا: لقد غيّر الحزب سياسته. (يحدد فيها هوغو بصره) لا تنظر إليّ هكذا. حاول أن تفهم. حين أرسلناك إلى هودرر كانت الاتصالات مقطوعة مع الاتحاد السوفييتي، فكان علينا أن نختار وحدنا مسلكنا. لا تنظر إلي هكذا يا هوغو! لا تنظر إليّ هكذا.

هوغو: وبعد ذلك؟

أولغا: ومنذ ذلك الحين عادت الاتصالات. وفي الشتاء المنصرم أعلمنا الاتحاد السوفييتي أنه يرغب في أن نتعاون مع الوصي لأسباب عسكرية محض.

هوغو: وقد أطعتم؟

أولغا: نعم. وأسّسنا لجنة سرية مؤلفة من ستة أعضاء مع الحاكمين و<< البانتاغون >>.

هوغو: ستة أعضاء. وحصلتم على ثلاثة أصوات؟

أولغا: نعم، كيف عرفت ذلك؟

هوغو: مجرد حدس. تابعي.

أولغا: ومنذ تلك اللحظة لم تتدخل الجيوش بعدُ في العمليات الحربية. لقد وفرنا على ما أظن مئة ألف رجل. غير أن الألمان اجتاحوا البلاد فجأة.

هوغو: حسنًا جدًا. وأنا أظن أن السوفييت افهموكم انهم لا يتمنون تسليم الحكم لحزب العمال وحده، خشية ان يخلق لهم ذلك متاعب مع الحلفاء، وأنه من الممكن من جهة أخرى أن تجتاحكم بسرعة فتنة شعبيةٌ.

أولغا: ولكن...

هوغو: يخيّل إليّ انه سبق لي أن سمعت كل ذلك. وهودرر إذن؟

أولغا: لقد كانت محاولته سابقة لأوانها، ولم يكن ذلك الرجل الذي يصلح لقيادة سياسة كهذه.

هوغو: كان ينبغي أن نقتله إذن: شيء رائع! ولكنني أحسب انكم أعدتم إليه اعتباره وأحييتم ذكراه!

أولغا: كان لا بدّ من ذلك.

هوغو: سيقام له تمثال في نهاية الحرب، وستسمى شوارع باسمه في جميع مدننا، وسيخلد اسمه في كتب التاريخ. ان ذلك ليسعدني من أجله. وقاتله ذاك، من كان؟ أجيرًا في خدمة المانيا؟

أولغا: هوغو...

هوغو: أجيبي.

أولغا: لقد كان الرفاق يعلمون أنك منّا. وهم لم يؤمنوا يومًا بالجريمة العاطفية. فشرحنا لهم... على قدر طاقتنا.

هوغو: لقد كذبتم على الرفاق؟

أولغا: كذبنا، لا. ولكننا... ولكننا في حرب يا هوغو. ولا يسعنا أن نبوح بكل شيء للجيش.

(ينفجر هوغو بالضحك)

أولغا: ماذا دهاك! هوغو! هوغو!

(يرتمي هوغو على مقعد وهو يضحك حتى الدموع)

هوغو: كل ما كان يقوله! كل ما كان يقوله! انها اضحوكة!

أولغا: هوغو!

هوغو: انتظري يا أولغا، ودعيني أضحك. فمنذ عشر سنوات لم أضحك بهذه القوّة. هي ذي جريمة مربكة لا يريد أحد أن يتبنّاها، انني لا أدري لماذا اقترفتها، وأنتم لا تعرفون ماذا تصنعون بها (ينظر إليها) انكم متشابهون.

أولغا: هوغو، أرجوك...

هوغو: متشابهون. هودرر ولويس وأنت، انكم من طينة واحدة. من الطينة الممتازة. طينة الأشداء، الفاتحين، القادة. وليس ثمة من اخطأ الباب غيري.

أولغا: هوغو، لقد كنت تحب هودرر.

هوغو: أظن انني لم أحبه قط كما أحببته في هذه الدقيقة.

أولغا: إذن عليك أن تساعدنا على متابعة عمله. (ينظر إليها فتتراجع) هوغو!

هوغو: (بهدوء) لا تخافي يا أولغا. فلن أصيبك بسوء. ولكن ينبغي أن تصمتي دقيقة، دقيقة واحدة، حتى أنظم افكاري. إذن أنا قابل للاسترداد، صالح للعمل. حسنًا جدًا. ولكن وحدي، هكذا عاريًا، من غير حقائب. شريطة أن أبدل جلدي – وإذا كان بالإمكان أن أفقد ذاكرتي، كان هذا أفضل. أمّا الجريمة فلا تُستردّ، أليس كذلك؟ لقد كانت غلطة غير ذات بال. وستترك حيث هي، في سلة القاذورات. أمّا أنا فإني مغيّر اسمي منذ الغد. سأدعى جوليان سوريل أو راستينياك أو مويشكين، وسأعمل مع قيادة << البانتاغون >> يدًا بيد.

أولغا: سوف...

هوغو: اصمتي يا أولغا. أتضرّع إليك ألّا تنبسي بكلمة. (يفكر لحظة) كلا.

أولغا: ماذا؟

هوغو: كلا. لن أعمل معكم.

أولغا: ألم تفهم إذن يا هوغو؟ سيحضران مع مسدسيهما.

هوغو: أعرف ذلك. بل إنّهما قد أبطآ.

أولغا: انك ان تسلم نفسك للقتل كالكلب. ولن ترضى بأن تموت من أجل لا شيء! سنثق بك يا هوغو. ولسوف ترى كيف ستصبح رفيقًا لنا بحقّ، لقد امتحنت يا هوغو...

(سيارة. ضجيج المحرك)

هوغو: ها هما.

أولغا: دعينا من الكلمات الكبار يا أولغا. فلقد تخلل هذه القضية أكثر مما ينبغي من الكلمات الكبار، ولقد سببت هذه الكلمات شرًا كثيرًا (تمر السيارة) ليست هي سيارتهما. واحسب أن لدي بعض الوقت لأشرح لك. اسمعي: انني لا أدري لماذا قتلت هودرر، ولكنني أعرف لماذا كان عليّ أن أقتله: ذلك انه كان يتبع سياسة خاطئة، وكان يكذب على الرفاق، وكان يوشك أن يُفسد الحزب. ولو واتتني الشجاعة لأطلق عليه الرصاص حين كنت وحيدًا معه في المكتب، لمات من أجل هذا، ولكان بوسعي أن أفكر بنفسي من غير خجل. انني استشعر الخجل من نفسي لأنني قتلته... بعد ذلك. وانتم، انتم تطلبون إلي ان امعن في استشعار هذا الخجل وان أقرّر انني قتلته من أجل لا شيء. انني يا أولغا ما زلت على رأيي في سياسة هودرر. وحين كنت في السجن، كنت أظن انكم على وفاق معي، وهذا ما كان يشد من أزري؛ أما الآن فأنا أعرف انني وحدي في اعتقادي هذا، ولكنني لن أغيّر رأيي.

(ضجيج محرك)

أولغا: انهما هما هذه المرة. اسمع، لا يمكنني... خذ هذا المسدس، فاخرج من باب غرفتي وجرّب حظك.

هوغو: (من غير ان يتناول المسدس) لقد جعلتم من هودرر رجلًا عظيمًا. ولكنني أحببته أكثر بكثير ممّا يمكنكم أن تحبوه. فإذا تنكرت لعملي، فسيصبح جثة مغفلة، نفاية من نفايات الحزب. (تقف السيارة) مقتولًا بالمصادفة. مقتولًا من أجل امرأة.

أولغا: اذهب!

هوغو: إن شخصًا كهودرر لا يموت بالمصادفة. انه يموت في سبيل آرائه، في سبيل سياسته؛ انه مسؤول عن موته. وإذا أنا طالبت بجريمتي أمام الجميع، وإذا رغبت في استرداد اسمي راسكولنيكوف، وإذا رضيت بدفع الثمن الذي ينبغي، فإذ ذاك سيكون لموته المعنى الذي يجدر به.

(يطرق الباب).

أولغا: هوغو، إني...

هوغو: (متجهًا نحو الباب) انني لم أقتل هودرر بعد يا أولغا. لم اقتله بعد. إنني الآن سأقتله، وسأقتل نفسي معه.

(يطرق الباب من جديد)

أولغا: (صارخة) اذهب من هنا! اذهب من هنا!

(يفتح هوغو الباب برفسة من قدمه)

هوغو: (يصرخ) لا، لست قابلًا للاسترداد بعد ولا صالحًا للعمل!

ستـــــــار الختام